بصمة القوة ..

وعظمة الإقدام

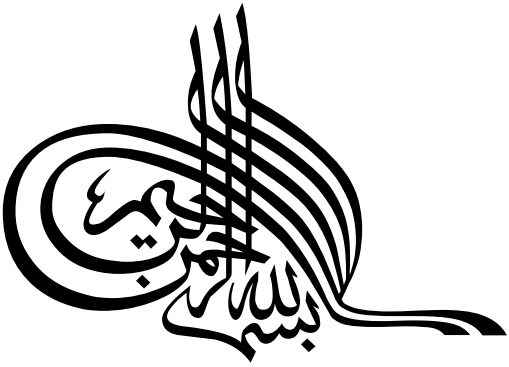

مقدمـــــــــة

فإننا نحمد لله الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهلٌ ، وهو على كل شيء قدير ، ونسأله سبحانه أن يصلي على صفوته من خليقته وخيرته من بريته صاحب الحوض المورود ، واللواء المعقود ، محمد عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وسلم تسليماً .. أما بعد:

فالحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده **قال تعالى: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)** الأحزاب-٢٥

وقال تعالى: (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) الأحزاب٢٦- ٢٧

فهذه بعضاً من بصمات التاريخ الخالدة ، بصمات القوة والعزة والرفعة على مر الأزمان وفي كل مكان ، التي كانت ومازالت وستكون بإذن الله سبحانه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، بدأتها بخير العصور عصر النبوة المعمور ثم عصر الخلافة الراشدة وهكذا .. فتجدها كلمات قوية من نفوس أبية عرفت معنى القوة والعزة والرفعة لدين الله الجبار المتين القهار.

نفوس عرفت أنه من يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون .. وهي كما ذكرت بعضها وليست جميعها ، وإنما ما يقارب الـ ٢٥ بصمة وإلاّ فتاريخنا العريق وأمجادنا المشرقة مليئة بما يعجز المرء عن وصفه.

وهي أيضاً عظمة الإقدام في الوقائع والمعارك ومواجهة الشدائد وتحدي المصاعب ومجابهة النوائب والصبر على الفجائع ، وتركٌ للذلة والهوان والضعف والانهزام أمام الأعداء الحاقدين والكفرة المعتدين والشرذمة المفسدين ، في مواقف حاسمة ومعارك فاصلة انتهت برفع راية الدين والغلبة والعزة والنصر لعباد الله المؤمنين **(مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)** الأحزاب -٢٣

بالرغم مما كان من التباين الكبير في العدة والعتاد والأعداد ، وذلك أن النصر من عند الله العلي العظيم **(وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)** آل عمران-١٢٦

وقد وضعت بعضاً من الأسماء اللطيفة لبعض المسميات المختلفة من معجم الأسماء في اللغة لأحمد الدمشقي في الحواشي السفلية ، كنوع من التخفيف والتنويع ، نسأل الله سبحانه التوفيق والسداد والحمدلله رب العالمين.

عصور الخلافة:

بدأت عصور الخلافة بعصر الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين وأفضل الخلق أجمعين .. بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأنار الأمة ونشر الدعوة صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ..

ثم كانت خلافة الأمويين ، بعد أن تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٤١هـ ، في عام الجماعة ، فكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أول خلفاء الدولة الأموية.

بقيت الدولة الأموية ٩١ عاماً حكم خلال هذه المدة من الزمن أربع عشرة خليفةً ، كان من بينهم يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبدالملك بن مروان وأبناءه وعمر بن عبدالعزيز .. كان آخرهم مروان بن محمد رحمهم الله جميعاً.

وبعد سقوط الدولة الأموية ، بدأت عصور الدولة العباسية والتي استمرت من عام ١٣٢هـ إلى عام ٦٥٦هـ ، حكم خلالها سبعة وثلاثين خليفة ، كان أولهم أبو العباس عبدالله بن محمد السفاح ، الذي تُوُفِّيَ لثلاث عشر خلت من ذي الحجة ، وكانت خلافته أربع سنين وعشرة أشهر ، واستخلف بعده أبو جعفر عبد الله بن مُحَمد ..

ومنهم أيضاً هارون الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والمتوكل والمنتصر والمعتز والمعتمد على الله والمكتفي بالله والمقتدر .. كان آخرهم المستعصم بالله الذي انتهت في خلافته الدولة العباسية ، فرحم الله المسلمين الأحياء منهم والأموات ..

وكانت هناك دولة إسلامية كبيرة مواكبة للدولة العباسية هي الدولة السلجوقية بقيادة الزعيم القائد طغرل بك السلجوقي ، حيث كانت لهذه الدولة السلجوقية صلة قوية بخلفاء الدولة العباسية ، حيث أطلق الخليفة العباسي القائم بأمر لقب السلطان ركن الدين على طغرل بك.

وبعد وفاة السلطان ركن الدين طغرل بك ، تولى الحكم ابن أخيه السلطان

محمد الملقب ألب أرسلان ، ثم ابنه ملكشاه .. وهكذا ، إلى أن سقطت على أيدي المغول بعد أن استمرت ٢٢٤ سنة ، وأصبحت فيما بعد من أملاك الدولة العثمانية.

وفي اليوم الذي انتهت فيه الخلافة العباسية ولد لأرطغرل ابنه عثمان الذي تنتسب إليه الدولة العثمانية وبهذا كان عثمان بن أرطغرل أول مؤسس حكم الدولة العثمانية.

بعد وفاة والده عثمان الأول عام ٧٢٦هـ تولى السلطان أورخان الحكم ، ثم أتى بعده مراد الأول ، ثم بايزيد ، ثم محمد جلبي ، ثم مراد الثاني ، ثم محمد الفاتح سنة ٨٥٥هـ وكان عمره لم يتجاوز ٢٢ عاماً ، ثم جاء ابنه بايزيد الثاني ، ثم سليم الأول وهكذا .. إلى أن ابتعد أواخر سلاطين الدولة العثمانية عن شرع الله سبحانه الذي لا يزيغ عنه إلاّ هالك ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي اِلاَّ هَالِكٌ** " وبهذا كانت نهاية الدولة العثمانية بعد أربعة قرون عاشتها الخلافة العثمانية بفتوحاتها الكبيرة ، وانجازاتها المشرقة ، وحضارتها البهية.

وقد كان هناك بعض الدول الإسلامية التي ظهرت خلال فترة الخلافات الإسلامية السابقة ، منها الإمارة في الأندلس ، والدولة الرستمية ، ودولة الأدارسة ، ودولة الأغالبة ، والدولة الطاهرية ، والدولة الصفارية ، والدولة السامانية ، والدولة الغزنوية ، والدولة الطولونية ، والإخشيدية ، والحمدانية ، والفاطمية ، والدولة الأيوبية ، ودولة المماليك.

الفرقان: (.. فو الله يا رسول الله ، لو استعرضت بنا البحر لخضناه معك ..).

غزوة بدر الكبرى ، الفرقان ، هي الوقعة العظيمة التي فرق الله فيها بين الحق والباطل ، وأعز الله فيها الإسلام ، ودمغ الكفر وأهله: **(إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّـهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ)** الأنفال-٤١

وذلك أنه لما كان في رمضان من هذه السنة الثانية بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيراً مقبلة من الشام بصحبة أبي سفيان في ثلاثين أو أربعين رجلاً من قريش و هي عير عظيمة ، تحمل أموالاً جزيلة لقريش ، فندب صلى الله عليه وسلم الناس للخروج إليها ، و أمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض ، و لم يحتفل لها احتفالاً كثيراً ، إلا أنه خرج في ثلاثمائة و بضعة عشر رجلاً.

ولم يكن معه من الخيل سوى فرس الزبير ، و فرس المقداد بن الأسود الكندي ، و من الإبل سبعون بعيراً يعتقب الرجلان و الثلاثة فأكثر على البعير الواحد.
ودفع صلى الله عليه وسلم اللواء إلى مصعب بن عمير ، و الراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب ، و الراية الأخرى إلى رجل من الأنصار ، و كانت راية

الأنصار بيد سعد بن معاذ ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة . وسار صلى الله عليه وسلم فلما قرب من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني ، وهو حليف بني ساعدة ، وعدي بن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار إلى بدر يتحسسان أخبار العير .

وأما أبو سفيان فإنه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصده إياه ، فاستأجر ضمضم ابن عمرو الغفاري إلى مكة مستصرخاً لقريش بالنفير إلى عيرهم ليمنعوه من محمد وأصحابه .

وبلغ الصريخ أهل مكة ، فنهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج ، ولم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب ، فإنه عوض عنه رجلاً كان له عليه دين ، وحشدوا ممن حولهم من قبائل العرب ، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي ، فلم يخرج معهم منهم أحد.

فجمعهم الله على غير ميعاد لما أراد في ذلك من الحكمة ، ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج قريش استشار أصحابه ، فتكلم كثير من المهاجرين

فأحسنوا ، ثم استشارهم وهو يريد بما يقول الأنصار ، فبادر سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه فقال: **يا رسول الله ! كأنك تعرض بنا ، فو الله يا رسول الله ، لو استعرضت بنا البحر لخضناه معك ، فسر بنا يا رسول الله على بركة الله.**

فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وقال : " **سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين** " .

ثم رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل قريباً من بدر ، وركب صلى الله عليه وسلم مع رجل من أصحابه مستخبراً ثم انصرف ، فلما أمسى بعث علياً وسعداً والزبير إلى ماء بدر يلتمسون الخبر.

فبادر رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً إلى ماء بدر ، ونزل على أدنى ماء هناك ، فقال له الحباب بن المنذر بن عمرو : يا رسول الله ، هذا المنزل الذي نزلته أمرك الله به ؟ أو منزل نزلته للحرب والمكيدة ؟ قال: " **بل منزل نزلته للحرب و المكيدة** " . فقال: ليس هذا بمنزل ، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من مياه القوم فننزله ، ونعور ما ورائنا من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ، فنشرب ولا يشربون. فاستحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ذلك ، وحال الله بين

قريش وبين الماء بمطر عظيم أرسله ، وكان نقمة على الكفار ونعمة على المسلمين ، مهد لهم الأرض ولبدها ، وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش يكون فيه .

ومشى صلى الله عليه وسلم في موضع المعركة ، وجعل يريهم مصارع رؤوس القوم واحداً واحداً ، ويقول : " **هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله ، و هذا مصرع فلان ، و هذا مصرع فلان** " . قال عبد الله بن مسعود : فو الذي بعثه بالحق ما أخطأ واحد منهم موضعه الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلي إلى جذم شجرة هناك ، وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان ، فلما أصبح و أقبلت قريش في كتائها ، قال صلى الله عليه وسلم : " **اللهم هذه قريش قد أقبلت في فخرها و خيلائها ، تحادك و تحاد رسولك** " .

وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ثم رجع إلى العريش هو وأبو بكر وحده ، وقام سعد بن معاذ وقوم من الأنصار على باب العريش يحمون

رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، ثلاثتهم جميعاً يطلبون البراز ، فخرج إليهم من المسلمين ثلاثة من الأنصار ، وهم : عوف ومعوذ ابنا عفراء ، وعبد الله بن رواحة ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ فقالوا : من الأنصار ، فقالوا : أكفاء كرام وإنما نريد بني عمنا ، فبرز لهم علي وعبيدة بن الحارث وحمزة رضي الله عنهم ، فقتل علي الوليد ، وقتل حمزة شيبة ، واختلف عبيدة وعتبة بضربتين ، فأجهد كل منهما صاحبه ، فكر حمزة وعلي على عتبة فقتلاه.

ثم حمي الوطيس ، واشتد القتال ، ونزل النصر ، واجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعاء ، وابتهل ابتهالاً شديداً ، حتى جعل رداؤه يسقط عن منكبيه ، وجعل أبو بكر يصلحه عليه ويقول: يا رسول الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإنه منجز لك ما وعدك . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " **اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض** " فذلك قوله تعالى " **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ** " الأنفال-٩

وكان الشيطان قد تبدى لقريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم زعيم

مدلج ، فأجارهم و زين لهم الذهاب إلى ما هم فيه ، وذلك أنهم خشوا بني مدلج أن يخلفوهم في أهاليهم و أموالهم ، فذلك **قوله تعالى : (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)** الأنفال-٤٨ وذلك أنه رأى الملائكة حين نزلت للقتال ، ورأى ما لا قبل له به ، ففر و قاتلت الملائكة كما أمرها الله ، وكان الرجل من المسلمين يطلب قرنه ، فإذا به قد سقط أمامه .

ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين ، فكان أول من فر منهم خالد بن الأعلم فأدرك فأسر ، وتبعهم المسلمون في آثارهم ، يقتلون ويأسرون ، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين ، وأخذوا غنائمهم .

فكان من جملة من قتل من المشركين ممن سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مواضعهم: أبو جهل ، وهو أبو الحكم عمرو بن هشام لعنه الله ، قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ، و معوذ بن عفراء ، وتمم عليه عبد الله مسعود ، فاحتز رأسه وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسر بذلك.

وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسحبوا إلى القليب ، ثم وقف عليهم وقال : " **بئس عشيرة النبي كنتم ، كذبتموني و صدقني الناس ، و خذلتموني و نصرني الناس ، وأخرجتموني و آواني الناس** " . ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرصة ثلاثاً .

ثم ارتحل مؤيداً بالنصر قرير العين ، معه الأسارى و المغانم ، فلما دخل المدينة خافه كل عدو له ، وأسلم بشر كثير من أهل المدينة.

وبهذا تم النصر العظيم والفتح الكبير تقرر مصير الأمة الإسلامية من بعد ذلك ، بقيادة خير خلق الله أجمعين وسيد الأولين والآخرين نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

الخندق : (.. فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟ و الله لا نعطيهم إلا السيف ..).

كان سبب غزوة الخندق أن نفراً من يهود بني النضير ، خرجوا إلى قريش بمكة فألبوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدوهم من أنفسهم النصر ، فأجابوهم ، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فأجابوهم أيضاً ، فخرجت قريش و قائدهم أبو سفيان بن حرب ، وعلى غطفان عيينة بن حصن ، كلهم في نحو عشرة آلاف رجل .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرهم إليه استشار أصحابه فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبادر إليه المسلمون وعمل فيه بنفسه صلوات ربي وسلامه عليه.

فبادروا به قبل هجوم الكفار عليهم ، وكانت في حفره آيات مفصلة يطول شرحها ، وأعلام نبوة قد تواتر خبرها ، فلما كمل قدم المشركون ، فنزلوا حول

المدينة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحصن بالخندق وهو في ثلاثة آلاف على الصحيح من أهل المدينة.

فجعلوا ظهورهم إلى سلع ، وأمر صلى الله عليه وسلم بالنساء والذراري ، فجعلوا في آطام المدينة ، واستخلف عليها ابن أم مكتوم رضي الله عنه .

وانطلق حيي بن أخطب النضري إلى بني قريظة ، فاجتمع بكعب بن أسد رئيسهم ، فلم يزل به حتى نقض العهد الذي كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووافق كعب المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسروا بذلك ، وكان ذلك في السنة الخامسة.

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فبعث إليهم السعدين: سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وخوات بن جبير ، وعبد الله بن رواحة ، ليتعرفوا الخبر ، فلما قربوا منهم وجدوهم مهاجرين بالعداوة والغدر ، فتسابوا ونال اليهود ـ عليهم لعائن الله ـ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبهم سعد بن معاذ ، وانصرفوا عنهم .

وقد أمرهم صلى الله عليه وسلم إن كانوا نقضوا أن لا يفتوا بذلك في أعضاد المسلمين ، لئلا يورث وهناً وأن يلحنوا إليه لحناً _ أي لغزاً ـــ فلما قدموا عليه ، قال: ما وراءكم ؟ قالوا: عضل والقارة ، يعنون غدرهم بأصحاب الرجيع ، فعظم ذلك على المسلمين ، واشتد الأمر ، وعظم الخطر ، وكانوا كما **قال الله تعالى: (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً)** الأحزاب -١١

ونجم النفاق وكثر ، واستأذن بعض بني حارثة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذهاب إلى المدينة لأجل بيوتهم ، قالوا: إنها عورة ، وليس بينها وبين العدو حائل ، وهم بنوسلمة بالفشل ، ثم ثبت الله كلتا الطائفتين.

وثبت المشركون محاصرين رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً ، ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من الخندق بينه وبينهم ، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود العامري وجماعة معه أقبلوا نحو الخندق ، فلما وقفوا عليه قالوا : إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تعرفها !!

ثم يمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فاقتحموه وجازوه ، وجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وسلع ودعوا للبراز ، فانتدب لعمرو بن عبد ود علي بن أبي

طالب رضي الله عنه فبارزه فقتله الله على يديه وكان عمرو لا يجاري في الجاهلية شجاعة ، وكان شيخاً قد جاوز المائة يومئذ ، وأما الباقون فينطلقون راجعين إلى قومهم من حيث جاؤوا ، وكان هذا أول ما فتح الله به من خذلانهم.

ولما طال هذا الحال على المسلمين أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصالح عيينة بن حصن والحارث بن عوف رئيسي غطفان ، على ثلث ثمار المدينة و ينصرفا بقومهما ، فاستشار صلى الله عليه وسلم السعدين في ذلك فقالا:

" **يا رسول الله إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة وإن كان شيئاً تصنعه لنا فلقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟ والله لا نعطيهم إلا السيف** ".

فصوب رأيهما وقال: " **إنما هو شيء أصنعه لكم ، لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة** ".

ثم إن الله سبحانه وله الحمد صنع أمراً من عنده خذل به بينهم وفل جموعهم ، وذلك أن نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني رضي الله عنه جاء إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله إني قد أسلمت فمرني بما شئت ، فقال صلى الله عليه وسلم: " **إنما أنت رجل واحد فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة** ".

فذهب من حينه ذلك إلى بني قريظة ، فدخل عليهم وهم لا يعلمون بإسلامه فقال يا بني قريظة ! إنكم قد حاربتم محمداً ، وإن قريشاً إن أصابوا فرصة انتهزوها ، وإلا شمروا إلى بلادهم وتركوكم ومحمداً فانتقم منكم . قالوا: فما العمل يا نعيم ؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن . قالوا لقد أشرت بالرأي.

ثم نهض إلى قريش فقال لأبي سفيان ولهم: تعلمون ودي ونصحي لكم ؟؟ قالوا نعم . قال: إن اليهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه ، وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها إليه ثم يمالئونه عليكم ، فإذا سألوكم فلا تعطوهم. ثم ذهب إلى قومه غطفان فقال لهم مثل ذلك.

فلما كان ليلة السبت في شوال بعثوا إلى اليهود: إنا لسنا بأرض مقام فانهضوا

بنا غداً نناجز هذا الرجل ، فأرسل إليهم اليهود: إن اليوم يوم السبت ، ومع هذا فإنا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا إلينا رهناً ، فلما جاءهم الرسل بذلك قالت قريش : صدقنا والله نعيم بن مسعود ، وبعثوا إلى اليهود: إنا والله لا نرسل لكم أحداً فاخرجوا معنا ، فقالت قريظة: صدق والله نعيم ، وأبوا أن يقاتلوا معهم.

وأرسل الله عز وجل على قريش ومن معهم الخور والريح تزلزلهم ، فجعلوا لا يقر لهم قرار ، ولا تثبت لهم خيمة ولا طنب ، ولا قدر ولا شيء .

(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً**) الأحزاب-٩

فلما رأوا ذلك ترحلوا من ليلتهم تلك ، وأرسل صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان يخبر له خبرهم ، فوجدهم كما وصفنا ، ورأى أبا سفيان يصلي ظهره بنار ، ولو شاء حذيفة لقتله ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فأخبره برحيلهم وكفي الله المؤمنين القتال.

(وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً) الأحزاب-٢٥

ووضعت الحرب أوزارها ، فلم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين بحمد الله سبحانه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في سيرة ابن كثير: " **لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم** ".

الفتح العظيم: (.. بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة ..).

وذلك أنه لما دخلت خزاعة عام الحديبية في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وضربت المدة إلى عشر سنين ، أمن الناس بعضهم بعضاً ، ومضى من المدة سنة تسعة أشهر ، فحدث أن غدا نوفل بن معاوية الديلي فيمن أطاعه من بني بكر بن عبد مناة فبيتوا خزاعة على ماء لهم يقال له الوتير ، فاقتتلوا هناك وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بالسلاح ، و ساعدهم بعضهم بنفسه خفية ، وفرت خزاعة إلى الحرم فاتبعهم بنو بكر إليه ، وقتلوا من خزاعة رجلاً يقال له منبه ، فانتفض عهد قريش بذلك.

فخر ج عمرو بن سا لم الخزاعي وبديل بن ورقاء الخزاعي وقوم من خزاعة حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلموه بما كان من قريش واستنصروه عليهم ، فأجابهم صلى الله عليه وسلم وبشرهم بالنصر ، وأنذرهم أن أبا سفيان سيقدم عليهم مؤكداً العقد وأنه سيرده بغير حاجة.

فكان ذلك ، وذلك أن قريشاً ندموا على ما كان منهم ، فبعثوا أبا سفيان

ليشد العقد الذي بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم ويزيد في الأجل ، فخرج ، فلما كان بعسفان لقي بديل بن ورقاء وهو راجع من المدينة ، فكتمه بديل ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها ، فذهب ليقعد على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعته ، وقالت: إنك رجل مشرك نجس . فقال: والله يا بنية لقد أصابك بعدي شر.

ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه ما جاء له ، فلم يجبه صلى الله عليه وسلم بكلمة واحدة . ثم ذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه فطلب منه أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى عليه ، ثم جاء إلى عمر رضي الله عنه فأغلظ له ، وقال: أنا أفعل ذلك ؟! والله لو لم أجد إلا الذر لقاتلتكم به. وجاء علياً رضي الله عنه فلم يفعل ، وطلب من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها أن تأمر ولدها الحسن أن يجير بين الناس ، فقالت: ما بلغ بني ذلك ، وما يجيل أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأشار عليه علي رضي الله عنه أن يقوم هو فيجير بين الناس ، ففعل. ورجع إلى مكة فأعلمهم بما كان منه ومنهم ، فقالوا: والله ما زاد يعنون علياً أن لعب بك.

ثم شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاز إلى مكة ، وسأل الله عز وجل أن يعمي على قريش الأخبار ، فاستجاب له ربه تبارك وتعالى.

فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش كتاباً ، يعلمهم فيه بما هم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القدوم على قتالهم وبعث به مع امرأة فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها. وأتى الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من السماء.

فأرسل لها علياً والزبير رضي الله عنهما ، فأدركاها بروضة خاخ . فأنكرت ، ففتشا رحلها فلم يجدا فيه شيئاً فهدداها فأخرجته من قرون رأسها.

فأتيا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا حاطباً فقال: " **ما هذا يا حاطب** ؟ " فقال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله ، والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما ارتددت ولا بدلت ، ولكني كنت امرءاً مُلصقاً في قريش ، لست من أنفسهم ، ولي فيهم أهل وعشيرة وولد ، وليس لي فيهم قرابة يحمونهم ، وكان من معك لهم قرابات يحمونهم. فأحببت أن أتخذ عندهم يداً ، قد علمت أن الله مظهر رسوله ، ومُتِم له أمره.

فقال عمر: يا رسول دعني أضرب عنقه ، فإنه قد خان الله ورسوله وقد نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إنه قد شهد بدراً وما يدريك يا عمر ؟ لعل الله اطّلع على أهل بدر ، فقال: اعملوا ما شئتم . فقد غفرت لكم** " رواه البخاري ومسلم.

فذرفت عينا عمر ، وقال: الله ورسوله أعلم.

وهذا من إعلام الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك ومن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم . وخرج صلى الله عليه وسلم لعشر خلون من رمضان في عشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب ، وقد ألفت مزينة.

وكذا بنو سليم على المشهور رضي الله عنهم جميعهم.

واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين.

ولقيه وكان العباس قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلماً مهاجراً ، فلقي رسول اللخ صلى الله عليه وسلم بالجحفة.

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظهران نزل العشاء فأمر الجيش فأوقدوا النيران ..

وأما قريش فعمى الله عليها الخبر ، إلا أنهم قد خافوا وتوهموا من ذلك ، فلما كانت تلك الليلة خرج ابن حرب ، وبديل بن ورقاء ، وحكيم بن حزام يتجسسون الخبر ، فلما رأوا النيران أنكروها ، فقال بديل: هي نار خزاعة ، فقال أبو سفيان: خزاعة أقل من ذلك.

وركب العباس بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتئذ ، وخرج من الجيش لعله يلقى أحداً يخبر قريشاً ليخرجوا يستأمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يدخلها عنوة.

فسمع صوت أبو سفيان وبديل يتحادثان فعرفهم ، فقال: أبا حنظلة ! فعرفه أبو سفيان ، فقال: أبو الفضل ؟ قال نعم . قال ما وراءك ؟ قال ويحك .. هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ، واصباح قريش ! .. قال: فما الحيلة ؟ قال والله لئن ظفر بك ليقتلنك ، ولكن اركب ورائي وأسلم.

فركب وراءه وانطلق به ، فمر في الجيش كلما أتى على قوم يقولون: هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى مر بمنزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما رآه قال: عدو الله ؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد.

ويركض العباس البغلة ، ويشتد عمر رضي الله عنه في جريه ، وكان بطيئاً ، فسبقه العباس ، فأدخله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء عمر في أثره ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضرب عنقه ، فأجاره العباس مبادرة ، فتقاول هو وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يأتيه به غداً ..

فلما أصبح أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه الإسلام فتلكأ قليلاً ، ثم زجره العباس فأسلم ، فقال العباس: يا رسول الله ! إن أبا سفيان يحب الشرف ، فقال صلى الله عليه وسلم: **" من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، و من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن "** .

وأمر صلى الله عليه وسلم العباس أن يوقف أبا سفيان عند خطم الجبل ، لينظر إلى جنود الإسلام إذا مرت عليه .

وقد جعل صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه على المقدمة ، و خالد بن الوليد رضي الله عنه على الميمنة ، و الزبير بن العوام رضي

الله عنه على الميسرة ، و رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب ، و كان أعطى الراية سعد بن عبادة رضي الله عنه ، فبلغه أنه قال لأبي سفيان حين مر عليه: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، فذكر أبو سفيان ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام: " **بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة** ".

فأمر بأخذ الراية من سعد فتعطى علياً ، و قيل: الزبير ، وهو الصحيح. و أمر صلى الله عليه وسلم الزبير أن يدخل من كداء من أعلى مكة ، و أن تنصب رايته بالحجون ، و أمر خالداً أن يدخل من كدى من أسفل مكة ، و أمرهم بقتال من قاتلهم.

وكان عكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، قد جمعوا جمعاً بالخندمة ، فمر بهم خالد بن الوليد فقاتلهم ، فقتل من المسلمين ثلاثة وهم:

كرز بن جابر من بني محارب بن فهر ، وحبيش بن خالد بن ربيعة بن أصرم الخزاعي ، وسلمة بن الميلاء الجهني ، رضي الله عنهم . وقتل من المشركين ثلاثة عشر رجلاً ، وفر بقيتهم.

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة سنة ٨ هـ وهو راكب على ناقته وعلى رأسه المغفر ورأسه يكاد يمس مقدمة الرحل من تواضعه لربه عزوجل.

وقد أمن صلى الله عليه وسلم الناس إلا عبد العزى بن خطل ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وعكرمة بن أبي جهل ، ومقيس بن صبابة ، والحويرث بن نقيذ ، وقينتين لابن خطل ، وهما فرتنا وصاحبتها ، وسارة مولاة لبني عبد المطلب ، فإنه صلى الله عليه وسلم أهدر دمائهم ، وأمر بقتلهم حيث وجدوا ، حتى ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة ، فقتل ابن خطل ، وهو متعلق بالأستار ، ومقيس ابن صبابة ، والحويرث بن نقيذ ، وإحدى القينتين ، وآمن الباقون.

ونزل صلى الله عليه وسلم مكة واغتسل في بيت أم هانئ وصلى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين. وخرج صلى الله عليه وسلم إلى البيت فطاف به طواف

قدوم ، ولم يسع ، ولم يكن معتمراً .

ثم دعا بالمفتاح ، فدخل البيت وأمر بإلقاء الصور ومحوها منه ، وأذن بلال يومئذ على ظهر الكعبة ، ثم رد صلى الله عليه وسلم المفتاح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة . وأقرهم على السدانة .

وكان ذلك الفتح لعشر بقين من رمضان والحمدلله رب العالمين كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

السلاسل: (.. وإلا فلا تلومن إلا نفسك ، فلقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ..).

بعد أن انتهى أبو بكر الصديق من حروب الردة ، قرر أن يتفرغ للمهمة الأكبر وهى نشر دين الله تعالى بعد أن مهد الجبهة الداخلية وقضى على الفتنة ، وكانت الدولة الإسلامية تقع بين أقوى دولتين في العالم وقتها ، دولة الفرس المجوسية من ناحية الشرق بأرض العراق وإيران ، ودولة الروم الصليبية من ناحية الشمال بأرض الشام والجزيرة ..

فبدأ الخليفة الراشد أبو بكر الصديق بدولة الفرس ناحية الشرق ، وانتدب لها أعظم قواده خالد بن الوليد ليفتح بلاد الفرس وينشر دين الحق والرحمة فيها ، فجاءته الأوامر من الخليفة أبى بكر بالتوجه إلى الأراضي العراقية ، مع عدم إكراه أحد من المسلمين على مواصلة السير معه إلى العراق ، ومن أحب الرجوع بعد قتال المرتدين فليرجع ، وأمرهما أن لا يستعينا بمرتد.

وأمر قائده خالد بن الوليد أن يهجم على العراق من ناحية الجنوب ، وانتدب

عياض بن غنم الفهرى أن يهجم من ناحية الشمال ، ثم قال لهما: "من وصل منكما أولاً إلى الحيرة واحتلها فهو الأمير على كل الجيوش بالعراق" .

فكتب خالد بن الوليد إلى المثنى بن حارثة وغيره من القادة المسلمين على أن يوافوه وكان له ذلك ، ثم سار في جيش بلغ ثمانية عشر ألفا وقسم الجيش ثلاث فرق كانت بقيادة المثنى وعدي بن حاتم وثالثة بقيادته على أن يلتقوا جميعهم في الحفير ليصادموا عدوهم ، والحفير هو ماء بالقرب من البصرة ، وكان خالد قد أرسل كتاب إنذار إلى هرمز يقول له فيها بكل قوة وعظمة وثقة:" **أما بعد فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وإقراراً بالجزية ، وإلاّ فلا تلومن إلا نفسك ، فلقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة** ".

ولما بلغ الكتاب هرمز اختار بيده مصيره المحتوم ، وبقي على كفره وضلاله المعلوم ، وبعث إلى كسرى يطلب الإمدادات ، وأرسل له كسرى إمدادات كبيرة جداً ، واجتمع عند هرمز جيش جرار عظيم التسليح.

وكان هرمز قد تعجل إلى الكواظم وهي من جادة اليمامة لملاقات المسلمين هناك ، ظناً منه أن المسلمين سوف يعسكرون هناك.

فبلغه أن الجيش الإسلامي قد قصد الحفير وأخذ طريقه إلى هناك ، فعبأ هرمز جيشه وعرج يبادرهم إلى هناك ليسبقهم ، ووصل إلى هناك قبل المسلمين ، وقام بالاستعداد للقتال ، وحفر خنادق ، وتجهيز الجيش ، وكان هرمز من أسوأ أمراء العراق وكان رجلاً شريراً متكبراً ، شديد البغض للإسلام والمسلمين والعرب.

وعندما وصل خالد الخبر أن هرمز بالحفير عدل عنه إلى الكاظمة ، فوصلت الأخبار إلى هرمز فاستشاط غضباً ، وتحرك بجيوشه المرهقة إلى الكاظمة ليستعد للصدام مع المسلمين.

وكان خالد بن الوليد يحمس الجيش ويحفزهم ويقول لهم:" ألا انزلوا وحطوا رحالكم ، فلعمر الله ليصيرن الماء لأصبر الفريقين ، وأكرم الجندين "، حيث كانت الفرس قد استولوا على مصادر المياه بأن جعلوا نهر الفرات وراء ظهورهم.

وقبل أن تصطدم جيوش الفرس مع جيوش المسلمين في هذه الواقعة سنة ١٢هـ ، أرسل بصورة الوضع إلى كسرى ، الذي قام بدوره بإرسال إمدادات كبيرة يقودها قارن بن قرباس إلى هرمز.

وتقابل الجيشان ، وخرج القائد الفارسي هرمز للمبارزة ، فخرج له القائد المسلم خالد بن الوليد ، وكان هرمز شديد الكفر والخيانة ، فاتفق مع مجموعة من فرسانه على أن يهجموا على خالد ويفتكوا به أثناء المبارزة ، وقبل أن تقوم فرسان هرمز بجريمة الغدر التي خططوا لها ، فطن أحد أبطال المسلمين القعقاع بن عمرو لذلك ، فخرج من بين الصفوف مسرعاً ، وانقض كالأسد الضاري على مجموعة الغدر فقتلهم جميعاً ، وأجهز خالد بن الوليد على هرمز فقتله كالنعاج.

وانهزم الفرس وانحل نظامهم لمقتل قائدهم ، وولوا الأدبار ، وركب المسلمون أكتافهم ، وأخذوا بأقفيتهم ، وقتلوا منهم أكثر من ثلاثين ألفاً ، وغرق الكثير في نهر الفرات ، فكانت هزيمة مدوية على قوى الكفر.

وقيل أنها سميت بالسلاسل لأن الجنود الفرس كانوا قد ربطوا أنفسهم بالسلاسل ، حتى لا يفروا من أرض المعركة ، كناية عن القتال حتى الموت.

وبينما كان قارن بن قريانس في طريقه لمعاونة هرمز ، بلغته هزيمة هرمز فتوقف بالمذار ، وعسكر به فسار خالد بن الوليد إليه.

وتقابل الجيشان فخرج قائد الفرس قارن وطلب المبارزة من المسلمين فخرج له رجلان خالد بن الوليد وأعرابي من البادية ، اسمه معقل بن الأعشى الملقب " بأبيض الركبان " لمبارزته ، وسبق الأعرابي خالداً ، وانقض على قارن وقتله ، وخرج بعده العديد من أبطال الفرس وقادته فبارز عاصم بن عمرو القائد " الأنوشجان " فقتله ، وبارز الصحابي الجليل عدى بن حاتم القائد " قباذ " فقتله.

وأصبح الجيش الفارسي بلا قيادة ، ولم يطل الأمر حتى هزمهم خالد وقتل منهم عدد جسيم قدره الطبري بثلاثين ألفاً ، وعبر البقية إلى الجهة الشرقية ، وضموا إليهم السفن ، فلم يتمكن المسلمون من طلبهم.

فبلغت الهزيمة ملك الفرس فبعث جنداً كثيفاً يقوده " الأندرزغر " ففصل عن المدائن حتى أتى ألوجة وهي من الشمال من المذر ، ثم أتبعه كسرى جنداً آخر يقوده " بهمن جاذويه " ، وقد انضم إلى صفوف الفرس كثير من العرب المنتصرة.

ولما بلغ سيف الله المسلول خالد بن الوليد خبر تجمعهم أذن بالرحيل إليهم على تعبية ، بعد أن ترك خلفه حامية تحمي خط رجعته ، ولما وصل الولجة رتب

الهجوم على عدوه الذي يفوقه عدداً وعتاداً من ثلاث جهات ، فصادمهم من إحداها ولم يلبث الفريقان الآخران أن خرجا على الفرس من مكمنهما فانهزما ، وفر قائد الجيش حتى مات في طريقه عطشاً.

وبذلك استقر الجنوب العراقي بأيدي المسلمين ، وكان هذا الانتصار فاتحة لسلسلة طويلة من المعارك الطاحنة بين الفرس والمسلمين التي كان النصر فيها بحمد الله سبحانه حليفاً للمسلمين.

بعد الانتصارات التي حققها المسلمين ، والفتوحات التي قام بها الجيش الإسلامي في أجزاء كبيرة من بلاد الشام في زمن الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، بدأ هرقل يحشد جيوشه لخوض معركة فاصلة مع المسلمين ، فجمع أعداداً هائلة من جنوده ، ومن يقدر على حمل السلاح من الروم ، استعداداً للانطلاق من إنطاكية مركز الروم إلى جنوبي الشام.

وكان أبو بكر الصديق قد بعث خالد بن سعيد بن العاص يرابط بقواته قرب مناطق يسيطر عليها الروم والقبائل العربية التى تعتنق النصرانية وتحالف الروم ، وكون أيضاً أربع فرق يقودها عظام من القادة الأبطال إلى بلاد الشام لمواجهة الروم ، كان على رأس الأولى: "عمرو بن العاص" ووِجْهَتُه "فلسطين" ، وكان على رأس الثانية "يزيد بن أبى سفيان" ووجهته دمشق ، وكان على رأس الثالثة "الوليد بن عقبة" ووجهته "وادى الأردن" ، أما الرابعة فكان على رأسها "أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح" ووجهته "حمص".

وأدرك الروم ما يرمى إليه خليفة المسلمين ، فقاموا بالاستعداد لحرب آتية لابد

منهـا مـع المسـلمين ، ونقـل هرقـل مقـر القيـادة إلى حمـص ليكـون أقـرب مـن ميدان القتال ، وجهز جيشًا روميا ، قوامه نحو ٢٥٠ ألف جندي ، بقيادة تذراق أخي هرقل ، يساندهم نحو ستين ألفًا من العرب ، بقيادة جبلة بن الأيهم الغسانى وكان ذلك في أواخر سنة ١٢هـ.

فلما وصلت أنباء استعدادات الروم إلى أبي عبيدة بن الجراح ، تراسل مع بقية القواد يشاورهم في الأمر ويستطلع رأيهم ، فانتهى الحوار بينهم على أن يتجمعوا في موقع قريب من بلاد الحجاز ، وأن تتجمع الجيوش كلها في جيش واحد ، تحت قيادة أبى عبيدة بن الجراح.

فبلغ ذلك هرقل فكتب إلى بطارقته أن اجتمعوا لهم ، وانزلوا بالروم منزلاً فسيحاً فيه ماء ، ويكون ضيّق المهرب لجنوده ، وجعل على الناس التذارق ، وعلى المقدمة جرجـة ، وعلـى مجنبتيـه باهـان والـدراقص ، وعلـى الحـرب الفيقـار ، ففعلـوا فنزلـوا الواقوصة وهي على ضفة اليرموك ، وصار الوادي خندقاً لهم ، وانتقل المسلمون من عسكرهم الذي اجتمعوا فيه فنزلوا عليهم بحذائهم على طريقهم.

فأخبروا الخليفة أبا بكر بما هم فيه ، وطلبوا المدد منه ، فرأى أنه لن ينقذ الموقف في الشام سوى خالد بن الوليد ، وقال قولته الشهيرة:" **والله لأُنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد** ".

ثم كتب رسالة إليه: أما بعد فإذا جاءك كتابى هذا، فدع العراق ، وخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم وهم فيه وامضِ متخففًا في أهل القوة من أصحابك الذين قدموا العراق معك من اليمامة ، وصحبوك من الطريق ، وقدموا عليك من الحجاز ، حتى تأتى الشام ، فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين ، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام عليك.

امتثل خالد لأوامر الخليفة ، وسار من العراق في سبعة آلاف جندي في واحدة من أجرأ المسيرات العسكرية في التاريخ وأكثرها خطرًا ، حيث قطعوا أكثر من ألف كيلو متر في ثمانية عشر يومًا وقيل في خمسة أيام ، في صحراء قاحلة مهلكة ، حتى وصلوا إلى وادي اليرموك فتسلم خالد بن الوليد القيادة من أبى عبيدة بن الجراح ، وفرح المسلمون بخالد ، واشتد غضب الروم بمجيئه ..

وقال هرقل لقواده: أرى من الرأي أن لا تقاتلوا هؤلاء القوم ، وأن تصالحوهم

، فوالله لأن تعطوهم نصف ما أخرجته الشام ، وتأخذوا نصفه ، وتقر لكم جبال الروم ، خير لكم من أن يغلبوكم على الشام ، ويشاركوكم في جبال الروم ، ولكنهم أبوا .

فعرض خالد على الأمراء أن يكونوا جيشاً واحداً ويتداولوا الإمارة يوماً بعد يوم ، فوافقوا وأمّروه هو أولاً ، وعلم خالد أن القتال كل بفرقته سيطول ، وفيه إضعاف للجهود فعبأ الجيش وقسمه إلى أربعين كردوساً أي: كتائب كبيرة كل كردوس ينقسم إلى: قلب وميمنة وميسرة ، وجعل القاضي أبا الدرداء ، والقاص أبا سفيان ، وعلى الغنائم ابن مسعود ، وقارئ سورة الأنفال المقداد بن عمرو ، وشهد المعركة ألف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأمر خالد الكراديس كلها أن تنشب القتال ، وساق خالد النساء وراء الجيش ، ومعهن عدد من السيوف ، وقال لهن: من رأيتنه هاربًا ، فاقتلنه. ثم رجع إلى موقفه من الجيش.

ثم دارت المعركة فيما بينهم ، انتهت بهزيمة مدوية للروم وانتصار ساحق للمسلمين ، كما سيأتي ذكره.

اليرموك: (.. إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت ، غير أنَّا قوم نشرب الدماء وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم فجئنا لذلك ..).

كانت هذه المقولة الشهيرة الرائعة القوية المزلزلة العظيمة المبهرة للقائد المغوار الفذ الهمام سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه ، عندما تواجه الفريقان في وقعة اليرموك الشهيرة عام ١٣هـ ، فبعد أن تقارب الفريقان على ضفة اليرموك ، تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعهما ضرار بن الأزور والحارث بن هشام وأبو جندل بن سهيل ابن عمرو ، ونادوا: إنما نريد أميركم لنجتمع له. فلما ذهبوا إلى " تذارق " أراد أن يجلسهم على فرش من حرير فرفضوا ، وجلس هو معهم حيث شاءوا ، فعرضوا عليه إما الإسلام وإما الجزية وإما الحرب ، ولكن الروم آثروا الحرب على الإسلام والجزية.

ثم طلب ماهان خالد بن الوليد ليبرز له فيما بين الصفين ، فقال ماهان: إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع ، فهلموا إلى أن أعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعامًا وترجعون إلى بلادكم ، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها. فرد عليه خالد قائلا:" **إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت ، غير أنَّا قوم نشرب الدماء ، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم**

، **فجئنا لذلك** ". فقال أصحاب ماهان: هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب.

وتقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو، وهما على جانبي القلب ، وأمرهما ببدء القتال ، وانتظر خالد بن الوليد السّاعة المناسبة للهجوم وفعلا قامة بمهاجمة الرّوم بعد أن أنهكهم التعب واختلت صفوفهم.

تلاحم الفريقان وشد الروم على ميمنة المسلمين حتى انكشفت، وفعلوا كذلك بالميسرة ، وثبت القلب لم يتكشف جنده، وكان أبو عبيدة وراء ظهرهم ؛ ردءا لهم ، يشد من أزرهم ، وأبلى المسلمون بلاء حسنا، وثبت بعضهم كالجبال الراسخات ، وضربوا أروع الأمثلة في الشجاعة وتلبية النداء ، وقاتلت النساء أحسن قتال.

ونشب القتال بجد في اليوم الأول ، وزحف الروم بأعدادهم الكثيرة فردهم المسلمون ، وفي هذا اليوم كثرت الجراح من كثرة السهام ، واعورّ من المسلمين سبعمائة فارس ، فسمي ذلك اليوم يوم التعوير ، وفي اليوم الثاني وقف عكرمة وقال: من يبايع على الموت ؟ فبايعه أربعمائة من الرجال ، فقاتلوا حتى أصيبوا جميعاً بجراحات ، ودامت المعركة يوماً وبعض اليوم ، وكان الهجوم الأخير عاماً

على الروم ، واقتحم خالد وجيشه خندق الروم فتساقطوا في الوادي ، وتهافت منهم في الوادي ثمانون ألفاً .

وكان قد جاء صاحب البريد إلى خالد بوفاة أبي بكر وتولية عمر ، وكتب إليه بعزله عن قيادة الجيش وتولية أبي عبيدة ، وكان يكلمه سرّا ، فقال له خالد: أحسنت. وأخفي الخبر حتى لا تحدث زعزعة في صفوف المسلمين.

وبينما كان القتال على أشده بين جيش الإسلام وجيش الروم ، خرج "جرجة" أحد أمراء الروم الكبار من الصف ، واستدعى خالد بن الوليد ، فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، فقال جرجة: يا خالد ، أخبرني فاصدقني ولا تكذبني ، فإن الحُرّ لا يكذب ، ولا تخادعني ، فإن الكريم لا يخادع ، هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاه لك ، فلا تسلَّه على أحد إلا هزمته ؟

قال: لا ! قال: فبم سميت سيف الله ؟ قال: إن الله بعث فينا نبيّا ، فدعانا ، فنفرنا منه ، ونأينا عنه جميعًا ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا كذبه وباعده ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه ، فقال لي:" أنت سيف من سيوف

الله سله الله على المشركين"، ودعا لى بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك ؛ فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

فقال جرجة: يا خالد إلى ما تدعون ؟

قال: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل.

قال: فمن لم يجبكم ؟

قال: فالجزية ونمنعهم أي نحميهم.

قال: فإن لم يعطها ؟

قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله.

قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم ؟

قال: منزلته واحدة ، فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا.

قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم ؟

قال: نعم وأفضل.

قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟

فقال خالد: لقد قبلنا هذا الأمر ، وبايعنا نبينا وهو حى بين أظهرنا ، تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ، ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما

سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر بحقيقة دينه كان أفضل منا.

فقال جرجة: بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى ؟

قال: تالله لقد صدقتك ، وإنَّ الله ولىّ ما سألت عنه من الإسلام.

ودخل جرجة الإسلام فأخذه خالد إلى خيمته ، وصب عليه قربة من ماء ، ثم صلى به ركعتين ورجعا إلى المعركة يضربان بسيفيهما من بدء ارتفاع النهار حتى غروب الشمس فقام الروم بالفرار ليلا إلى الواقوصة. وأصيب جرجة رحمه الله ، فمات شهيدًا ، ولم يكن صلى لله عز وجل غير هاتين الركعتين مع خالد.

وخاض المسلمين معركة مع الروم تُعد من أعظم المعارك وأبعدها أثرًا في حركة الفتح الإسلامي ، وسحق بفضل الله سبحانه جيش الروم الذى كان يعد يومئذٍ أقوى جيوش العالم ، إذ قتل منه نحو مائة وعشرين ألفًا ، وقد أدرك هرقل إمبراطور الروم حجم الكارثة التي حلت بجيشه ، فغادر المنطقة نهائيًا ، وقلبه يقطر دمًا ، ويتحسر على جهوده التي بذلها في استرداد الشام من الفرس ، ثم ها هي ذي يفتحها المسلمون فيقول: السلام عليك يا سوريا سلامًا لا لقاء بعده ، ونعم

البلد أنت للعدو وليس للصديق " ، وبعد المعركة أعلن خالد مضمون الكتاب ، واعتزل الإمارة ، وولاها مكانه أبا عبيدة رضي الله ، وقد استشهد من المسلمين نحو ثلاثة آلاف ، وقتل من الروم مائة وعشرون ألفاً ، وبهذا النصر العظيم الذي تم فتح الطريق لفتح بقية الشام ، الذي تم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين.

القادسية: (.. فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف أو تسلم فتنجي نفسك..).

نظر الفرس يوماً إلى أنفسهم بعد الهزائم التي نالوها من المسلمين وخاصة "وقيعة مهران" فوجدوا أنفسهم يضعفون أمام المسلمين ويصعقون ، فرأوا أن الاختلاف بينهم هو الذي ساعد المسلمين على تقدمهم وانتصاراتهم ، فقرر الفرس الاجتماع على يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى ، وملكوه وتبارى الرؤساء في طاعته ومعونته ، واتفقوا على تولية "رستم" أعظم قوادهم قيادة الجيش الذي كانوا يوجهونه لحرب المسلمين ..

وفي العام الرابع عشر للهجرة ، جمع "يزدجرد" طاقاته ضد المسلمين في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فبلغ ذلك المثنى بن حارثة الشيباني فكتب إلى عمر ليخبره بذلك ، فقال له عمر: والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب ، وأعلن النفير العام للمسلمين أن يدركوا المسلمين في العراق.

واجتمع الناس بالمدينة فخرج عمر معهم إلى مكان يبعد عن المدينة ثلاثة أميال على طريق العراق ، والناس لا يدرون ما يريد أن يصنع عمر ، واستشار عمر

الصحابة في قيادته للجيش بنفسه فقرروا أن يبعث على رأس الجيش رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقيم هو ولا يخرج ، واستشارهم فيمن يقود الجيش فقال عبد الرحمن بن عوف: إليك الأسد في براثنه ، سعد بن أبي وقاص ، إنه الأسد عادياً .

فاستدعاه عمر ووصاه ، وأوصى الجيش الذي معه ، وأمر سعد الجيش بالسير ومعه أربعة آلاف ، ثم أمده بألفي يماني ، وألفي نجديّ ، وكان مع المثنى ثمانية آلاف ، ومات المثنى قبل وصول سعد ، وتتابعت الإمدادات حتى صار مع سعد ثلاثون ألفاً.

فكانت وقعة القادسية وقعة عظيمة لم يكن بالعراق أعجب منها ، وذلك: أنه لما تواجه الصفان كان سعد رضي الله عنه قد أصابه عرق النسا ، ودمامل في جسده فهو لا يستطيع الركوب ، وإنما هو في قصر متكئ على صدره فوق وسادة وهو ينظر إلى الجيش ويدبر أمره ..

وقد جعل أمر الحرب إلى خالد بن عرفطة ، وجعل على الميمنة جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح ، وكان قيس والمغيرة بن شعبة قد

قدما على سعد مدداً من عند أبو عبيدة من الشام بعدما شهداً وقعة اليرموك.

وقبل أن يفصل سعد بن أبي وقاص بجنوده بعث دعاة إلى الملك حسب أمر عمر فاختار من جنده قوماً عليهم نجار ولهم آراء ونفر لهم منظر وعليهم مهابة ولهم أراء ، فخرجوا من المعسكر حتى جاؤوا إلى الفرس فاستأذنوا بالدخول على الملك فأذن لهم وكان معه وزراؤه ووجوه أرضه فلما دخلوا عليه أمرهم بالجلوس ثم قال لترجمانه: سلهم ما الذي جاء بكم إلى ديارنا ، وأغراكم بغزونا ؟ لعلكم طمعتم بنا ، واجترأتم علينا ، لأننا تشاغلنا عنكم ولم نشأ أن نبطش بكم ؟

فالتفت النعمان بن مقرن رضي الله عنه إلى من معه ، وقال: إن شئتم أجبته عنكم ، وإن شاء أحدكم أن يتكلم آثرته علي بالكلام.

قالوا جميعا: بل تكلم أنت ، فحمد النعمان رضي الله عنه الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال: إن الله رحمنا ، فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ، ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر ، وينهانا عنه ، ووعدنا إن أجبناه إلى ما دعانا إليه أن يعطينا الله خيري الدنيا والآخرة ، فما هو إلا قليل حتى

بدل الله ضيقنا سعة ، وذلتنا عزة ، وعداواتنا ، إخاء ومرحمة ، وقد أمرنا أن ندعو الناس إلى ما فيه خيرهم ، وأن نبدأ بمن يجاورنا ، فنحن ندعوكم إلى الدخول في ديننا ، وهو دين حَسن الحسن كله ، وحض عليه ، وقبح القبيح كله ، وحذر منه ، وهو ينقل معتنقيه من ظلام الكفر وجوره ، إلى نور الإيمان وعدله ..

إلى أن قال رضي الله وأرضاه: فإن أجبتمونا إلى الإسلام ، صرتم إخواننا ، لكم مثل ما لنا ، وعليكم مثل ما علينا ، خلفنا فيكم ، كتاب الله ، وأقمناكم عليه ، على أن تحكموا بأحكامه ، ورجعنا عنكم ، وتركناكم ، وشأنكم فإن أبيتم الدخول في دين الله ، أخذنا منكم الجزية ، وحميناكم ..

فقال له يزدجرد .. قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا إياكم .. فإن كان عدد لحق فلا يغرنكم منا ، وإن كان الجهد قد دعاكم فرضنا قوتا لكم إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم !!

فسكت القوم ، فقام المغيرة بن زرارة الأسدي فرد عليه بقوله المشهور التي قال فيها:" **فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف أو**

تسلم فتنجي نفسك ".

فقال كسرى: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لاشيء لكم عندي.

وعبر الفرس النهر في الصباح ونظموا جيشهم ، ونظم سعد جيشه وحثهم على السمع والطاعة لنائبه خالد بن عرفطة ، لأن سعداً أصابته دمامل في فخذيه وإليتيه ، فكان ينام على وجهه ، وفي صدره وسادة ، ويقود المعركة من فوق قصره ، وصلى المسلمون الظهر وكبر سعداً أربعاً ، ثم حملوا بعد الرابعة فاقتتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا ..

وقد قتل من الفرقين بشرٌ كثير ، ثم أصبحوا إلى مواقفهم ، فاقتتلوا يومهم ذلك وعامة ليلتهم ، ثم أصبحوا كما أمسوا على مواقفهم ، فاقتتلوا حتى أمسوا ، ثم اقتتلوا في اليوم الثالث كذلك ، وأمست هذه الليلة تسمى: ليلة الهرير.

فلما أصبح اليوم الرابع اقتتلوا قتالاً شديداً ، وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها أمراً بليغاً، وقد أباد الصحابة الفيلة ومن عليها ، وقلعوا عيونها ، فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم ، ويسمى: يوم القادسية ، وكان يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة كما قاله سيف بن عمر التميمي ،

هبت ريح شديدة فرفعت خيام الفرس عن أماكنها ، وألقت سرير رستم الذي هو منصوب له ، فبادر فركب بغلته وهرب فأدركه المسلمون فقتلوه ، ، فانهارت حينئذ معنويات الفرس فانهزموا ، وعبروا النهر فتبعهم السسلمون يخزونهم برماحهم فسقط من الفرس في النهر ثلاثون ألفا ،وقتلوا جالينوس مقدمة الطلائع القادسية ، وانهزم الفرس بحمد الله تعالى.

وغنم المسلمون من وقعة القادسية هذه من الأموال والسلاح ما لا يحد ولا يوصف كثره ، فحصلت الغنائم بعد صرف الأسلاب وخمسة ، وبعث بالخمس والبشارة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد كان عمر رضي الله عنه يستخبر عن أمر القادسية كل من لقيه من الركبان ، ويخرج من المدينة إلى ناحية العراق يستنشق الخبر ، فينما هو ذات يوم من الأيام إذا هو براكب يلوح من بعد فاستقبله عمر فاستخبره.

فقال له: فتح الله على المسلمين بالقادسية ، وغنموا غنائم كثيرة ، وجعل يحدثه وهو لا يعرف عمر، وعمر ماش تحت راحلته، فلما اقتربا من المدينة جعل الناس

يحيون عمر بالإمارة ، فعرف الرجل عمر ، فقال: يرحمك الله يا أمير المؤمنين هلا أعلمتني أنك الخليفة ؟ فقال: لا حرج عليك يا أخي.

فتح المدائن: (.. لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدًا حتى نأكل عسل أفريدون بأترج كوثى ..).

لما فرغ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من أمر القادسية في عهد الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أقام بها بعد الفتح شهرين وكاتب عمر فيما يفعل ، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى المدائن وأن يخلف النساء والعيال بالعتيق وأن يجعل معهم جندًا كثيفًا وأن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم.

والمدائن مدينة فارسية قديمة ، تقع اليوم في الضفة الشرقية إلى الجنوب من بغداد بما يقرب من (٣٠كم) ، وقيل أنها سميت بالمدائن لأن ملوك فارس كانوا يسكنونها منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، فإذا ملك أحدهم البلاد ، قام ببناء مدينة له بجانب الأخرى ، حتى وصل عدد هذه المدن إلى سبع مدن فأطلق العرب عليها المدائن.

ففعل ذلك وسار من القادسية لأيام بقين من شوال .. فلما وصلت مقدمة

المسلمين برس وعليهم عبد الله بن المعتم ، وزهرة بن حوية ، وشرحبيل ابن السمط لقيهم جمع من الفرس فقاتلهم سعد بن أبي وقاص فهزمهم وأقام فترة ببابل ، ثم أرسل أحد قواده زهرة بن حياة إلى بهرسير فاستطاع فتحها بعد أن مضى في المقدمات فلقي شيرزاد دهقان ساباط فيها فتلقاه بالصلح فأرسله زهرة بن حياة إلى سعد فصالحه على تأدية الجزية ..

فسار سعد والمسلمون إليها فلما وصلوها رأوا الإيوان فقال ضرار بن الخطاب: الله أكبر ! أبيض كسرى ! هذا ما وعد الله ورسوله.

وكبر وكبر الناس معه فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ثم نزلوا على المدينة وكان نزولهم في ذي الحجة من عام ١٥هـ.

وحاصر سعد بن أبي وقاص بهرسير وأرسل الخيول عليهم فأغارت على من ليس له عهد فأصابوا مائة ألف فلاح ، فأصاب كل واحد منهم فلاحًا لأن كل المسلمين كان فارسًا فأرسل سعد إلى عمر يستأذنه فأجابه: إن من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو أمانهم ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به.

وأقاموا على بهرسير شهرين يرمونهم بالمجانيق ويدبون إليهم بالدبابات ويقاتلوهم بكل عدة ونصبوا عليها عشرين منجنيقًا فشغلوهم بها ، واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية حتى أكلوا السنانير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم فبينا هم يحاصرونهم إذا أشرف عليهم رسول الملك فقال: الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم !

فقال لهم أبو مفرز الأسود بن قطبة ، وقد أنطقه الله تعالى بما قاله بما لا يدري ما هو ولا من معه.

فرجع الرجل فقطعوا دجلة إلى المدائن الشرقية التي فيها الإيوان فقال له من معه: يا أبا مفرز ما قلت له قال: والذي بعث محمدًا بالحق ما أدري وأنا أرجو أن أكون قد نطقت بالذي هو خيرٌ. وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم.

فنادى سعد في الناس فنهدوا إليهم فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج رجل إلا رجل ينادي بالأمان فآمنوه فقال لهم: ما بقي بالمدينة من يمنعكم.

فدخلوا فما وجدوا فيها شيئًا ولا أحدًا إلا أسارى وذلك الرجل فأسألوه لأي شيء هربوا فقال: بعث الملك عليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه: **أنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدًا حتى نأكل عسل أفريدون بأترج كوثى.**

فقال الملك: يا ويلتيه ! إن الملائكة تتكلم على ألسنتهم ترد علينا.
فساروا إلى المدينة القصوى.

فلما دخلها المسلمون أنزلهم سعد المنازل وأرادوا العبور إلى المدائن فوجدوا أن الفرس قد أخذوا السفن كلها حتى يمنعوهم من العبور إليهم ، وقيل أنهم فرو إلى المدائن وتحصنوا فيها وقطعوا الجسر.

فجمع سعد جنوده وأخبرهم بعزمه على عبور دجلة إلى المدائن ، فوجد منهم حماسًا شديدًا ورغبة أكيدة في السير إلى الفرس وفتح عاصمتهم المدائن ، وقسم سعد جيشه إلى عدة كتائب ، وجعل على رأس كل منها قائدًا من أمهر رجاله وأكثرهم حنكة وكفاءة ، فجعل على الكتيبة الأولى "كتيبة الأهوال" عاصم بن عمرو الملقب بذي البأس ، وجعل على الكتيبة الثانية "الكتيبة الخرساء" القعقاع بن عمرو ، ثم سار هو على بقية الجيش.

فعبرت كتيبة الأهوال النهر وكانوا ستمائة رجل ، تبعهم سعد بن أبي وقاص بكامل الجيش ، فعبر سعد نهر دجلة من أضيق مكان فيه بنصيحة سلمان الفارسي على خيولهم ، وكانوا يقولون: نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فتلاحق الناس وركبوا اللجة ، وإن دجلة لشدة فيضانه يرمي بالزبد ، وإنها لغزيرة مياهها.

واقتحموا بكل طمأنينة وثقة وإنهم ليتحدثون أثناء عبورهم النهر الهادر وما يكترثون ، كما يتحدثون في مسيرتهم على الأرض ، قالوا : وكان الذي يساير سعداً في عبور النهر سلمان الفارسي ، فعامت بهم الخيل وسعد يقول: (حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن الله عدوه ، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات) ، فقال له سلمان: (الإسلام جديد ، ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر ، أما والذي نفسي بيده ليخرجن منه أفواجاً) .

ولم يغرق منهم أحد غير أن رجلًا من بارق يدعى غرقدة زال عن ظهر فرس له أشقر فثنى القعقاع عنان فرسه إليه فأخذ بيده فأخرجه سالما فقال البارقي وكان

من أشد الناس: أعجز الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع ، وخرج الناس سالمين وخيلهم تنفض أعرافها.

قالوا: وأثناء العبور في البحر لم يذهب لأحد من الجيش شيء في الماء إلا قدح كانت له علاقة رثة – ما يربط به – فانقطعت فذهب به الماء ، فقال الرجل الذي كان بمرافقة صاحب القدح معيراً له: أصابه القدر فطاح ، فقال صاحب القدح: ما كان الله ليسلبني قدحي من بين أهل العسكر ، فلما عبروا إذا رجل ممن كان على الشاطئ قد ضربت الرياح القدح والأمواج حتى وقع على الشاطئ ، فتناوله برمحه ، فجاء به إلى العسكر فعرفه صاحبه فأخذه ، ثم قال صاحب القدح لصاحبه: ألم أقل لك ؟

ومن عناية الله تعالى بالجيش المجاهد أنه لا يعيا فرس أحد أثناء عبور النهر إلاّ جرثومة يريح عليه. وعن قيس بن أبي حازم قال: خضنا دجلة وهي تطفح ، فلما كنا في أكثرها ماء لم يزل فارس واقف ما يبلغ الماء حزامه.

فلما رأى الفرس ذلك أخذوا يرددون بالفارسية: (والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجن) ، وهربوا إلى حلوان وأخذوا ما استطاعوا من متاع.

وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال وهي كتيبة عاصم بن عمرو ثم كتيبة الخرساء وهي كتيبة القعقاع بن عمرو فأخذوا في سككها لا يلقون فيها أحدًا يخشونه إلا من كان في القصر الأبيض فأحاطوا بهم ودعوهم فاستجابوا على تأدية الجزية والذمة فتراجع إليهم أهل المدائن على مثل عهدهم ليس في ذلك ما كان لآل كسرى.

ونزل سعد القصر الأبيض بالمدائن ، وانتهى إلى إيوان كسرى وسرح سعد زهرة في آثارهم إلى النهروان ومقدار ذلك من كل جهة ، وفي ذلك القصر صلى سعد ابن أبي وقاص صلاة الفتح ثمان ركعات حمداً لله على هذا الفتح العظيم كما صلى من قبلُ في قصر كسرى الآخر في بهرسير ، وتلا في خشوع قول الله تعالى: **(كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ)**. الدخان ٢٥ -٢٨

وغنم المسلمون غنائم كثيرة في فتح المدائن ، منها كنوز كسرى وثيابه وخرزاته وتاجه ودرعه التي كان يجلس فيها للمباهاة وأساوره ، وأيضاً السيوف والدروع والمغافر وهي منسوبة كلها ، درع هرقل وخاقان ملك الترك وداهر ملك الهند وبهرام جور وسياوخش والنعمان بن المنذر ، وسيف كسرى وهرْمُزَ

وقباذ وفَيْروز وهِرَقْل وخاقان وداهِر وبَهْرام وسِياوخش والنعمان أحضرها القعقاع جميعاً عند سعد فخيّره بين الأسياف فاختار سيف هِرَقْل وأعطاه دِرْعَ بهرام وبعث إلى عمر سيف كسرى والنعمان وتاج كسري وحليته وثيابه ليراها الناس. وقسم سعد الفيء بين المسلمين وكان هذا الفتح في صفر ١٦هـ.

وأرسل سعد بن أبي وقاص بنهار كسرى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً ، وهو القطف وهو بساط واحد طوله ستون ذراعًا وعرضه ستون ذراعًا مقدار جريب كانت الأكاسرة تعده للشتاء إذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم في رياض فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالأنهار أرضها مذهبة وخلال ذلك فصوص كالدر وفي حافاته كالأرض المزروعة والأرض المبقلة بالنبات في الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجوهر وأشباه ذلك وكانت العرب تسميه القطف.

وبانهيار إمبراطورية الفرس كلها ، وبدأت صفحة جديدة من تاريخ فارس ، بعد أن بادر كثير من أهالي تلك البلاد إلى الدخول في الإسلام ؛ لما وجدوه من الحرية والعدل وحسن المعاملة في ظل الإسلام هذا الدين العظيم.

نهاوند: (.. اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام واقبضني شهيدًا ..).

كانت هذه دعوة النعمان بن مُقرِّن قبل بدأ معركة نهاوند التي كلفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بقيادتها ، فبعد فتوحات المسلمين وانتصاراتهم الكبرى اجتمع يزدجرد في نهاوند بجنود الفرس من كل أنحائها يريد إستعادة ملكه ونهاوند من بلاد الجبل جنوبي همذان ، فكاتب أهل الباب والسند وحلوان ليجتمعوا فيوجهوا ضربة حاسمة للمسلمين فتكاتبوا واجتمعوا في نهاوند.

وقال السائب بن الأقرع : زحف للمسلمين زحف لم يُرَ مثله قط ، رجف له أهل ماه و أصبهان و همذان و الري وقومس ونهاوند و أذربيجان ، قال : فبلغ ذلك عمر فشاور المسلمين .

فقال علي رضي الله عنه: أنت أفضلنا رأياً و أعلمنا بأهلك. فقال: لأستعملن على الناس رجلاً يكون لأول أسنّة يلقاها أي أول من يتلقى الرماح بصدره ، كناية عن شجاعته. يا سائب اذهب بكتابي هذا إلى النعمان بن مُقرِّن ، فليسر

بثلثي أهل الكوفة ، وليبعث إلى أهل البصرة ، و أنت على ما أصابوا من غنيمة ، فإن قُتل النعمان فحذيفة الأمير ، فإن قُتل حذيفة فجرير بن عبد الله ، فإن قُتل ذلك الجيش فلا أراك .

فكتب إليه قائلا: إنه قد بلغني أن جموعا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبنصر لله بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم ولا تمنعهم حقا فتكفرهم ولا تدخلهم غيضة فإن رجلا من المسلمين أحب إلي من مئة ألف دينار والسلام عليكم.

فرحل النعمان وعبى أصحابه وهم ثلاثون ألفًا فجعل على مقدمته نعيم ابن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود.

وتوافت إليهم الأمداد بنهاوند من المدينة فيهم المغيرة بن شعبة وكل من غاب عن القادسية ليسوا بدونهم ، فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس فتزلزلت الأعاجم وحطت العرب الأثقال ، والفرس وقوف على تعبيتهم وأميرهم الفيرزان

وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جاذويه الذي جعل مكان ذي الحاجب.

وأنشب النعمان القتال بعد حط الأثقال يوم الأربعاء ، ودام على شكل مناوشات حادة إلى يوم الخميس والحرب بينهم سجالٌ وكان الفرس قد انحجروا في خنادقهم يوم الجمعة وحصرهم المسلمون وأقاموا عليهم والفرس بالخيار لا يخرجون إلا إذا أرادوا الخروج وطال الحصار عدة أسابيع فخاف المسلمون أن يطول أمرهم فتجمع أهل الرأي من المسلمين ..

وفكر المسلمون في طريقة يستخرجون فيها الفرس من حصونهم لمناجزتهم ، فتكلم قوم فردت آراؤهم ، ثم تكلم طليحة فقال: أرى أن تبعث خيلاً مؤدبة ، فيحدقوا بهم ، ثم يرموا لينشبوا القتال ، ويحمشوهم أي يغضبوهم ، فإذا أحمشوهم واختلطوا بهم وأرادوا الخروج انضموا إلينا استطراداً أي خديعة ، فبعثوا عليهم خيلا تقاتلهم بقيادة القعقاع رضي الله عنه حتى إذا خرجوا من خنادقهم تراجع القعقاع فطمعوا وظنوا أن المسلمين قد هزموا ..

وأقبل الفرس على الناس يرمونهم حتى أفشوا فيه الجراحات ، والمسلمون يطلبون من النعمان الإذن بالقتال ، وبقي النعمان يطلب منهم الصبر. وشكا

بعض الناس وقالوا للنعمان: ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر بهم ائذن للناس في قتالهم.
فقال: رويدًا رويدًا.

وانتظر النعمان بالقتال أحب الساعات كانت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال فلما كان قريبًا من تلك الساعة ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر وقال: إني مكبر ثلاثًا فإذا كبرت الثالثة فإني حامل فاحملوا وإن قتلت فالأمير بعدي حذيفة فإن قتل ففلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة.

وقبل بدأ المعركة دعا النعمان رضي الله عنه ربه قائلا : (**اللهم أعزز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم ، اللهم اني أسألك أن تقر عيني بفتح يكون فيه عز الإسلام واقبضني شهيدا**).

فكبر ثلاثاً وبدأ القتال ، ودارت بين الفريقين رحى معركة ضروس ،كانت من أشهر معارك المسلمين في فتح بلاد الفرس ، وتمزق جيش الفرس شر ممزق ،

وملأت قتلاه السهل والجبل ، وأثناء تقدم القائد بدأ الفرس يتركون الساحة وزلق بالقائد فرسه من كثرة الدماء في أرض المعركة ، فصرع بين سنابك الخيل ، وجاءه سهم في جنبه ، فرآه أخوه نعيم فسجاه بثوب ، وأخذ الراية قبل أن تقع وناولها حذيفة بن اليمان فأخذها ، وقال المغيرة: اكتموا مصاب أميركم حتى ننتظر ما يصنع الله فينا وفيهم ؛ لئلا يهن الناس .

ولما زلق فرس النعمان به لمحه معقل بن يسار فجاءه بقليل من الماء ، فغسل عن وجهه التراب ، فقال النعمان : من أنت ؟ قال : أنا معقل بن يسار ، قال : ما فعل الناس ؟ قال : فتح الله عليهم ، قال : الحمد لله ، اكتبوا بذلك إلى عمر ، وفاضت روحه.

فلما أظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا ولزمهم المسلمون وعمي عليهم قصدهم فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا دونه بأسبيذهان فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعضهم في قياد واحد فيقتلون جميعًا وجعل يعقرهم حسك الحديد فمات منهم في اللهب مائة ألف أو يزيدون سوى من قتل في المعركة.

ونجا الفيرزان من بين الصرعى فهرب نحو همذان فاتبعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدامه فأدركه بثنية همذان وهي إذ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلًا فحبسه الدواب على أجله.

فلما لم يجد طريقًا نزل عن دابته وصعد في الجبل فتبعه القعقاع راجلًا فأدركه فقتله المسلمون على الثنية وقالوا: إن لله جنودًا من عسل. واستاقوا العسل وما معه من الأحمال.

وسميت الثنية ثنية العسل. ودخل المشركون همذان والمسلمون في آثارهم فنزلوا عليها وأخذوا ما حولها.

فلما رأى ذلك خسروشنوم استأمنهم ولما تم الظفر للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم أخوه معقل: هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة.

ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتووا ما فيها من الأمتعة وغيرها وما حولها من الأسلاب والأثاث سنة٢١من الهجرة.

وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لأنه لم يكن للفرس بعده اجتماع وملك المسلمون بلادهم.

كان بطريق قنسرين ويدعى "لوقا" قد كتب صلحاً مع أبو عبيدة الجراح ، إلاّ أن بطريق قنسرين الكافر قام بنقض الصلح الذي بينهم ، وكتب إلى الملك "هرقل" يستنجده على المسلمين ، فبعث هذا الملك بجبلة بن الأيهم الغساني من بني غسان والعرب المتنصرة ومعه بطريق عمورية في عشرة آلاف فارس.

فبلغ ذلك إلى أبو عبيدة فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: إن البغي مصرعة وإن كادنا كان الله من ورائه بالمرصاد وسوف نكيده أعظم مكيدة وأنا أسير إلى لقائه بعشرة رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فسار خالد بن الوليد رضي الله عنه والعشرة الذين اختارهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسار سعيد أمام القوم يدلهم ويجد السير طالبا عسكر جبلة بن الأيهم ، وكان مسيرهم ليلًا ، فلما وصلوا إلى قرب النيران وسمعوا أصوات القوم عدل بهم سعيد بن عامر إلى صوب طريق البطريق وكمن

بمن معه من الرجال إلى وقت الصباح ، فلم يأت أحد فصلى خالد بأصحابه صلاة الفجر وهم في المكمن ، فبينما هم في المكمن إذ أشرف عليهم جيش جبلة بن الأيهم والعرب المتنصرة وصاحب عمورية وهم طالبون أرض العواصم وقنسرين.

فقال المسلمون لخالد: يا أبا سليمان أما ترى هذا الجيش الذي قد أشرف علينا في عدد الشوك والشجر.

فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: فما يكون من كثرتهم إذا كان النصر لنا والله معنا فاختلطوا بهم أنتم وكونوا في جملتهم كأنكم من جيشهم إلى أن نلتقي بالبطريق صاحب قنسرين ويفعل الله تعالى ما يشاء ويختار فعند ذلك اختلطوا بهم وصاروا في جملتهم وهم لا يفترقون.

قال رافع بن عميرة الطائي: فلما أشرفنا على حد صلحنا ولاح لنا بلد العواصم وقنسرين إذا ببطريقها قد استقبلنا وقد رفع أمامه الصليب وأخرج بين يديه القسوس والرهبان وهم يقرأون الإنجيل وقد ارتفعت أصواتهم بكلمة الكفر ودنا بعضهم من بعض.

وخرج البطريق أمام الصحابة ليأتي إلى جبلة بن الأيهم يسلم عليه فاستقبله خالد بن الوليد رضي الله عنه مواجهًا له وحوله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب البطريق منهم.

قال: سلمكم المسيح وأبقاكم الصليب.

فقال خالد: يا ويلك ما نحن من عباد الصليب بل نحن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد الحبيب وكشف خالد بن الوليد رضي الله عنه وجهه ونادى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله يا عدو الله أنا خالد بن الوليد أنا المخزومي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب بيده البطريق وقبض عليه وانتزعه من سرجه وبرز أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلوا السيوف على أصحابه وارتفعت الضجة والجلبة وأعلن العدو بكلمة الكفر وضج المسلمون بكلمة التوحيد ..

وسمع جبلة وصاحب عمورية أصوات المسلمين وقد ارتفعت بالتهليل والتكبير فانزعجوا لذلك ونظروا إلى السيوف وقد جردت والرماح وقد شرعت فبرزوا نحو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان ، فلما نظر خالد إلى ما دهمه ونزل بأصحابه الذين معه والبطريق صاحب قنسرين

لا يفارقه وقد ملك قيده وهو خائف أن ينفلت من يديه أو تجري عليه حادثة قبل أن يقتله هم خالد أن يقتله ، ورفع السيف ليعلوه به فتبسم البطريق من فعاله وعجب خالد من ضحكه وقال: ويلك مم ضحكك.

فقال البطريق: لأنك مقتول أنت ومن معك وتريد قتلي وإن أنت أبقيت علي فهو أصوب فتركه خالد ولم يقتله ، ثم صاح خالد بأصحابه: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا حولي واحموا عني واصبروا على ما نزل بكم ولا يكثر عليكم من أحدق بكم فإن أشد ما تخافون منه القتل ، والموت منية خالد في سبيل الله ، وإني والله أهديت نفسي للقتل مرارًا لعلي أرزق الشهادة ، واعلموا رحمكم الله أن حجتنا واضحة ومفوضة إلى الله عز وجل وكأني بكم وقد وصلتم إلى ربكم وسكنتم دارًا لا يموت ساكنها.

فاجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد رضي الله عنه ، وداروا من حوله وسار عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن يمينه ورافع بن عميرة عن يساره وعبده همام من ورائه وأصحابه محدقون به وسلم خالد البطريق صاحب قنسرين إلى عبده همام وقال: أوثقه إلى جانبك ولا تبرح

من مكانك وأبشر بالنصر من الله عز وجل.

وأقبلت إليهم العرب المتنصرة يقدمهم جبلة بن وقد أحدق بهم الجيش من كل جانب.

فلما نظر صاحب عمورية إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه وقد ملك صاحب قنسرين وهو في يده أسير خاف أن يعجل عليه خالد فأقبل إلى جبلة وقال له: وحق المسيح ما هؤلاء العرب إلا شياطين ألا ترى إلى هذا العربي ومن معه وهم عشرة رجال وقد أحدق بهم هذا الجيش العظيم وما يفكرون فيه وقد ملكوا صاحبنا وهو معهم أسير ولا يخلص من أيديهم وإني خائف عليه أن يقتلوه وهو عزيز عند الملك هرقل فأخرج إلى هذا العربي وقل له يخلي صاحبنا ويوصله إلينا حتى نجود لهم بأنفسهم فإذا أطلقوا صاحبنا حملنا عليهم وقتلناهم عن آخرهم.

فنادى جبلة بن الأيهم برفيع صوته: من أنتم من أصاب محمد المعروفين.

من أنتم من العرب التابعين أخبرونا من قبل أن ينزل بكم الدمار ؟

فكان المكلم له خالد وبادره بالخطاب وقال له: بل نحن من أصحاب محمد المختار

المعروفين بأهل القبلة والإسلام والإكرام والإنعام.

وأما سؤالك عن أنسابنا فنحن الآن من قبائل شتى وقد جعل الله كلمت واحدة ونحن مجتمعون عليها وهي قول لا إله إلا الله محمد رسول الله زاده الله تعالى شرفًا.

فلما سمع جبلة كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديدًا إذ لم يفكر فيه ولا فيمن معه.

فقال جبلة: يا فتى أنت أمير هؤلاء العرب.

فقال خالد: لست أميرهم بل أخوهم في الإسلام وهم إخواني المؤمنون.

فقال جبلة: من أنت من أصحاب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد: أنا المعروف بكبش بني مخزوم أنا خالد بن الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الرجل الذي عن يميني هو عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهذا الذي عن شمالي من أهل اليمن من كرام طيء وهو رافع بن عميرة الطائي صهري وفؤادي وذلك أني أخذت من كل قبيلة شجاعها المعروف وبطلها الموصوف فلا تزدر بقتلنا ولا تفرح بكثرتهم فما أنتم في القتال إلا كطيور

وقع عليها صائدها وهي كامنة في أوكارها فألقى القانص الشبكة عليها فما انفلت منها إلا النجيب.

فزاد غضب جبلة من كلام خالد وقال له: ستعلم أن كلامك عليك ميشوم إذا دارت بك الأسنة وبقيت أنت ومن معك طعامًا للوحوش في هذه الفلاة تمزقكم بكرة وعشيًا.

فقال له خالد: ذلك لا يكثر علينا وهو سهل لدينا. ، فأنت من العرب التي قد نسبت لعبادة الصليب لقال: أنا سيد بني غسان ومن ملوك همدان أنا ملك غسان وتاجها أنا جبلة بن الأيهم.

فقال خالد: أنت المرتد عن دين الإسلام ومن اختار الضلالة على الهدى وسلك سبيل الغي وضل وغوى فقال جبلة: لست كذلك أنا الذي اخترت العز على الذل والهوان.

فقال خالد: فإنك على ذل نفسك حريص وإنما الكرامة غدًا في دار البقاء والبعد عن دار الشقاء.

فقال جبلة: يا أخا بني مخزوم لا تفرط علينا في المقال فإنما بقائي عليك وعلى أصحابك بسبب هذا الأسير الذي في يدك لأني أخاف إن حملت عليكم قتلته قبل

قتلك وهو معظم عند الملك هرقل وقريب عنده في النسب فأطلقه من يدك حتى أجود عليكم بأنفسكم.

فقال خالد: أما أسيري فلا أطلقه من يدي حتى أقتله ولا أبالي بما صنع بي بعده وأما قولك تحمل علي وعلى من معي بهذه المجوع فما أنصفت في المقال فإذا أردت النصفة في القتال فجمعكم عظيم وعددكم كثير ونحن عشرة رجال وقد أحدقت بنا أعنت خيولكم وأسنة رماحكم وطيال سيوفكم فأبرزوا فارسًا لفارس وهذا أميركم فإن قتلتمونا فقد خلصتم أسيركم وإن أظفرنا الله وما النصر إلا من عند الله فما يعظم عليكم هلاك أسيركم إذا هلكت أنفسكم قبله.

فعند ذلك نكس جبلة رأسه وأقبل يحدث صاحب عمورية بجواب خالد بن الوليد رضي الله عنه فغضب صاحب عمورية غضبًا شديدًا وانتضى سيفه فلما نظر خالد بن الوليد إلى البطريق وقد جرد سيفه علم أنه يريد القتال ..

فلما هم صاحب عمورية بالحملة أمسكه جبلة ومنعه محن الحملة وأوقفه تحت صليبه وأقبل جبلة على خالد بن الوليد وقال: يا أخا بني مخزوم إن الحرب كما

ذكرت تحتمل النصفة وهؤلاء بنو الأصفر أعلاج الروم غنم ما يعرفون النصفة في البراز وقد حدثتهم بحديث معي وقد رضوا منك بالمبارزة فمن أراد منكم المبارزة فليبرز.

فعزم خالد بن الوليد أن يبرز فمنعه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال: لا يبرز لهؤلاء القوم غيري وأبذل المجهود فيهم فلعلي ألحق بأبي بكر الصديق فتركه خالد .

فخرج عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو على فرس كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فجال عبد الرحمن بجواده بين عساكر الروم والعرب المتنصرة ودعاهم إلى القتال والبراز ، فخرج إليه خمسة فوارس من شجعان الروم فما كان يجول عبد الرحمن على الفارس إلا جولة واحدة فيصرعه قتيلًا فلما قتل الخمسة فوارس توقفوا عنه فهم بالحملة على عسكر الروم فخرج إليه جبلة بن الأيهم وقد اشتد في الغضب ..

فلما قرب من عبد الرحمن قال له: يا غلام قد تعديت علينا في فعالك وبغيت علينا في قتالك قال عبد الرحمن: وكيف ذلك وما البغي من شيمتنا قال جبلة:

لأنك قد ملأت الأرض من قتلانا وما خرجت إليك أقاتلك لأنك لست لي كفؤًا في القتال وإنما خرجت إليك لأن رجلًا من أصحابك قد خرج يعينك وليس هذا من شيم الأشراف والإنصاف.

قال: فلما سمع عبد الرحمن كلام جبلة تبسم وقال: يا ابن الأيهم تريد أن تخدعني وأنا تربيه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد شهدت معه الوقائع والقتال.

فقال جبلة: لست مخادعًا وما قلت إلا حقًا.

فقال عبد الرحمن: فأخرج بإزاء من خرج معي فارسًا من قومك إن كنت صادقًا في مقالتك واحمل على علي فإني كفء كريم.

فلما نظر جبلة بن الأيهم إلى عبد الرحمن وأنه لا يؤتى من قبل الخداع والحيل.

قال: هل لك يا غلام أن تلقي بيدك إلينا وأغمسك في ماء المعمودية غمسة تخرج منها نقيًا من الذنوب كما خرجت من بطن أمك وتكون من حزب الصليب والإنجيل وتأكل القربان وتأخذ الجائزة العظيمة من الملك هرقل وأزوجك ابنتي وأقاسمك نعمتي وأتفضل عليك بإكرامي وإنعامي وأنا الذي مدحني شاعر

نبيكم حيث يقول: إن ابن جفنة من بقية معشر لم تغذهم آباؤهم باللوم يعطي الجزيل ولا يراه بأنه إلا كبعض عطية المذموم لم ينسني بالشام إذ هو بارح يومًا ولا متنصرًا بالروم إن جئته يومًا تقر بمنزل تسقي براحته من الخرطوم فأسرع إلى ما عرضته عليك لتنجو من المهالك وتكون في النعم والعيش السليم.

فقال عبد الرحمن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له يا ويلك يا ابن اللئام أتدعوني من الهدى إلى الضلال ومن الإيمان إلى الكفر والجهالة وأنا ممن وقر الإيمان في قلبه وعرف رشده من غيه وصدق نبي الله وأبغض من كفر بالله فدونك والقتال ودع عنك الخديعة والمحال وتقدم إلى ما عزمت عليه حتى أضربك ضربة أعجل بها حمامك وأرغم بها أنفك وتستريح العرب من أن تنسب إليك لأنك كافر بالرحمن وعابد للصلبان.

قال: فغضب جبلة من كلام عبد الرحمن وحمل عليه وهم به ورفع رمحه يريد أن يطعنه فزاغ عبد الرحمن من الطعنة وحمل على جبلة حملة عظيمة وتطاعنا بالرماح ، وانتضى سيفه وتعاركا في الحرب فهجم عبد الرحمن على جبلة وضرب رمحه فرمى جبلة باقي الرمح من يده وانتضى سيفه من غمده وكان من سيوف

كندة من بقايا عاد كأنه صاعقة بارقة ما ضرب منها شيئًا إلا براه وحمل على عبد الرحمن رضي الله عنه حملة عظيمة.

ثم التقيا بضربتين واصلتين فسبقه عبد الرحمن بالضربة فأخذها جبلة في حجفته فقطع الدرق ونزل السيف إلى البيضة فأثنى سيف عبد الرحمن عنها لأنها ذات سقاية عظيمة فجرحه جرحًا واضحًا أسال دمه وضربه جبلة ضربة واصلة فقطع ما كان عليه من الزرد والدروع والثياب ووصلت الضربة إلى منكبه فجرحته ..

فلما أحس عبد الرحمن رضي الله عنه الضر قد وصلت إليه ثبت نفسه وأرى قرينه كأن الضربة لم تصل وحرك جواده وأطلق عنان فرسه حتى لحق بخالد بن الوليد رضي الله عنه وأصحابه فلما وصل إليهم قال له خالد: قد وصل إليك عدو الله بضربته فقال: نعم وأظهر له ضربته وما لحقه فأخذوه عن فرسه وسدوا جراحه.

فقال خالد بن الوليد قولته الشهيرة: " **لأفجعنهم في أسيرهم كما فجعوني بك** " ، ثم صاح خالد بعبده همام وقال: قدم هذا العلج فقدمه بين يديه فضربه

بسيفه فأطاح رأسه عن جسده فلما نظرت الروم إلى صاحبهم وقد قتله خالد فجعهم ذلك وغضب جبلة وقال: أبيتم إلا القدر وقتلتم صاحبنا ثم صاح في الروم والعرب المتنصرة وهموا بالحملة ونظر خالد إليهم وقد حملوا على المسلمين فقال لعبده همام قف أنت عند عبد الرحمن فامنع عنه من أراده بسوء.

ثم قال لأصحابه: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج أحد منكم عن صاحبه وكونوا حولي فما أسرع الفرج والنصر من الله عز وجل فوقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حول خالد بن الوليد رضي الله عنه كما أمرهم وما قصدهم إلا من آيس من نفسه وحملت الروم والعرب المتنصرة بأجمعهم وثبت لهم المسلمون الأخيار وعظم بينهم القتال ودارت بهم الأهوال.

وقد عظم عليهم الأمر وعز منهم الصبر وأخذهم الانبهار ورأوا من المشركين الدمار والأرض قد ملئت من قتلى المشركين وهم بين الروم كأنهم أسرى وإذ قد نادى بهم مناد وهتف بهم هاتف وهو يقول: خذل الآمن ونصر الخائف أبشروا يا حملة القرآن جاءكم الفرج من الرحمن ونصرتم على عبدة الأوثان هذا وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر ودارت عليهم الحوافر.

قال إسحاق بن عبد الله : كنت مع أبي عبيدة رضي الله عنه فبينما نحن في شيزر وأبو عبيدة في مضربه وإذا به قد خرج في بعض الليل من مضربه وهو ينادي: النفير النفير يا معشر المسلمين لقد أحيط بفرسان الموحدين قال فأسرعنا إليه من كل جانب ومكان وقلنا له: ما نزل بك أيها الأمير فقال: الساعة كنت نائمًا إذ طرقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرني وقال لي معنفًا: يا ابن الجراح أتنام عن نصرة القوم الكرام فقم والحق بخالد بن الوليد رضي الله عنه فقد أحاط به القوم اللئام وإنك تلحق به إن شاء الله تعالى رب العالمين.

فلما سمع المسلمون قول أبي عبيدة رضي الله عنه تبادروا إلى لبس السلاح والزرد وركبوا خيولهم وساروا يريدون خالدًا ، عند ذلك كبر الأمير أبو عبيدة رضي الله عنه وحمل وحملت المسلمون.

قال رافع بن عميرة: فبينما نحن قد أيسنا من أنفسنا إذ سمعنا التهليل والتكبير فلم تكن إلا ساعة حتى أحاط جيش المسلمين بعسكر الكافرين ووضعوا السيوف من كل جانب وعلت الأصوات وارتفعت الزعقات ، وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه ثابت في سرجه ، وفر عبدة الصلبان وتفكك الجيش وولوا على

أدبارهم ، بعد هزيمتهم الساحقة من جيش الأبطال.

ورد الله تعالى كيدهم في نحرهم بعد نقضهم للصلح والعهد والأمان ، وتم بحمد الله هذا الفتح العظيم والنصر المبين.

ذات الصواري: (.. إن أحببتم ننزل إلى الساحل فنقتتل ، حتى يكتب لأحدنا النصر ، وإن شئتم فالبحر ..).

لما تولي معاوية بن أبي سفيان الشام ألح على عمر الفاروق في غزو البحر ، وكتب له معاوية: (إن قرية من قرى حمص ليسمعُ بنباح كلابهم ، وصياح دجاجاتهم) . فاحتار عمر وكتب إلى عمرو بن العاص واليه على مصر: (صف لي البحر وراكبه ؛ فإن نفسي تنازعني عليه).

فكتب عمرو: (إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلقٌ صغير ، ليس إلا السماء والماء ، إن ركد خرق القلوب ، وإن تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ، إن مال غرق ، وإن نجا برق). فقرأ عمر الكتاب ثم كتب إلى معاوية: والذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً ، وبالله لمسلمٌ واحدُ أحب إلي مما حوت الروم.

ولما تولي عثمان الخلافة كتب إليه معاوية يستأذنه في غزو البحر ، وذلك بعد أن بدأ معاوية باستكمال الاستعدادات ، فوافق عثمان على طلبه ، وكتب إليه:

لا تنتخب الناس ، ولا تقرع بينهم ، خيرهم ، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه ، فقام معاوية بن أبي سفيان ببناء الأسطول الإسلامي وتسلم عبدالله بن قيس الجاسي قيادة الجيش فاستطاع فتح قبرص ، كذلك سلك نفس المسلك عبد الله بن سعد بن أبى سرح والى مصر فبدأ بغزو جنوب ليبيا ، ثم غزا بلاد النوبة.

وكان مما دعا الخليفة الراشد عثمان بن عفان إلى التفكير في إنشاء أسطول إسلامي هو تعرض مصر والشام لمحاولة بيزنطية لإعادة البلاد إلى الحكم مرة أخرى والاستيلاء على مصر والشام ، فكانت بداية الأسطول الإسلامي العربي والسيادة البحرية الإسلامية في البحر المتوسط ، ولم يكن من ذلك بد لحماية الثغور الإسلامية.

فأثار بروز الأسطول الإسلامي في البحر المتوسط حفيظة قسطنطين بن هرقل الإمبراطور البيزنطي ، وجعله يفكر في القضاء على الأسطول الإسلامي وتحطيمه ، قبل أن تكتمل قوته ، ويزداد خطره ، وحتى تظل السيطرة على البحر المتوسط للأسطول البيزنطي وحده دون غيره ، فعبأ الإمبراطور قواته البحرية كلها ، واتجه بها قاصدًا سواحل الشام ، وهو لا يراوده شك في قدرته على تدمير السفن

الإسلامية ؛ لحداثة نشأتها ، وقلة خبرة رجالها.

لكن المسلمين استعدوا لهذا اللقاء جيدًا وتعاون الأسطولان في مصر والشام ، لرد هذا العدوان ، الأسطول الشامي بقيادة معاوية بن أبي سفيان ، والأسطول المصري بقيادة عبد الله بن سعد والى مصر.

والتقى الأسطولان الإسلامي والبيزنطي الرومي الذي كان بقيادة الإمبراطور نفسه في شرقي البحر المتوسط سنة ٣٢هـ جنوبي شاطئ آسيا الصغرى تركيا الحالية ، والتقى الجيشان في عرض البحر ، وطلب المسلمون من الروم: **إن أحببتم ننزل إلى الساحل فنقتتل ، حتى يكتب لأحدنا النصر ، وإن شئتم فالبحر** ، فأبى الروم إلا الماء ، وبات الفريقان تلك الليلة في عرض البحر ، وقام المسلمون الليل يصلون ويدعون ويذكرون ، وبات الروم يضربون النواقيس.

ولما صلى المسلمون الفجر أمر عبد الله جنده أن يقتربوا من سفن أعدائهم فاقتربوا حتى لامسوها ، ونزل الفدائيون إلى الماء وربطوا السفن العربية بسفن الروم بحبال متينة ، وبدأ الروم القتال ، وصار قاسياً ، وسالت الدماء حتى احمرت صفحة المياه ، وترامت الجثث في الماء ، وضربت الأمواج السفن حتى ألجأتها إلى

الساحل ، وقتل من المسلمين الكثير ، وقتل من الروم ما لا يحصى ، وصمد المسلمون وصبروا ، فكتب الله لهم النصر والتأييد ، واندحر الروم ، وانتهت المعركة بحمدالله سبحانه بنصر عظيم للمسلمين ، وهزيمة ساحقة للأسطول البيزنطي.

وقد كاد قسطنطين أن يقع أسيراً في أيدي المسلمين ، لكنه فر مدبراً والجراحات في جسمه ، ونتيجة لهذه الهزيمة لم يرجع الإمبراطور إلى عاصمة القسطنطينية بعد المعركة ، وإنما ذهب إلى جزيرة صقلية ، قبالة شاطئ تونس ، في محاولة منه لحماية ما تبقى من دولة الروم في شمال إفريقيا ، لكنه قتل في صقلية ، حيث سأله أهلها عن أمره ، فأخبرهم فقتلوه حنقاً عليه.

وسميت المعركة بالصواري - والصواري جمع صار وهي الخشبة المعترضة وسط السفينة - لكثرة السفن التي اشتركت من الجانبين خمسمائة سفينة من جانب الروم مقابل مائتي سفينة من جانب المسلمين ، وقيل أن عدد السفن كان ما يقارب ١٢٠٠ سفينة عربية ورومية.

الأندلس: (.. فأخذته سنة من النوم ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصار .. فيقول له: (يا طارق تقدم لشأنك).

كانت هذه الرؤيا التي رآها القائد المشهور طارق بن زياد ، فبعد أن اختاره موسى بن نصير لفتح الأندلس ، ركب طارق السفن في سبعة آلاف من المسلمين ، جلّهم من البربر سنة ٩٢هـ ، فبينما هو في عرض المضيق على رأس سفينته إذ أخذته سنة من النوم ، **فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصار ، قد تقلدوا السيوف ، وتنكبوا القسيّ ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا طارق تقدم لشأنك) ، ونظر إليه وإلى أصحابه قد دخلوا الأندلس قدّامه.**

فيهب طارق مستبشراً فرحاً بهذه الرؤيا.

وقد كان موسى بن نصير يتطلع إلى فتح الأندلس بعد أن استطاع موسى بن نصير فتح طنجة ، وترك بها حامية يقودها مولاه طارق بن زياد ، وأتم المسلمون فتح بلاد المغرب ، واستقرت الأوضاع بها بعد جهاد طويل من قبل الفاتحين ، حتى كتب الله التمكين للمسلمين على يد موسى بن نصير ، وأقبل سكان المغرب

على الإسلام أفواجًا يذوقون حلاوته وينعمون بعدله ، ولم يبق من شمال المغرب سوى "سبتة" التي استطاعت لمناعتها ويقظة حاكمها الكونت يوليان أن تقف أمام طموحات الفاتحين المسلمين.

وفي الوقت الذي كان يفكر فيه موسى بن نصير بمد الفتح إلى الأندلس التي لم يكن بينهم وبينها إلا خليج يسير ، وعبور المضيق إليها إذ جاءه رسول من قبل طارق بن زياد يخبره بأن يوليان حاكم سبته عرض عليه أن يتقدم لغزو أسبانيا ، وأنه على استعداد لمعاونة العرب في ذلك ، وتقديم السفن اللازمة لنقل الجنود المسلمين ، بعد أن كان نائباً للإمبراطور البيزنطي "لذريق" حاكم طليطلة ، ولكنه تحرر من سلطان الدولة البيزنطية ، وأصبح كالحاكم المستقل في سبتة وما حولها ، بسبب أحقاد كانت بينهما.

وبعث موسى إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يستشيره ، فردَّ عليه الخليفة بقوله: (خضها أولاً بالسرايا يعني بقلة من الجنود حتى ترى وتختبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال) ، فكتب إليه موسى مبيِّنا له: " أنه ليس ببحر خِضَمّ ، وإنما هو خليج يبين للناظر منه ما خلفه "، فرد عليه الوليد: " بأنه لا بد

من اختباره بالسرايا قبل خوضه واقتحامه ".

فأرسل موسى رجلاً من البربر يسمى "طريف بن مالك" في مائة فارس وأربعمائة رجل ، وركب هو وجنوده البحر في أربعة مراكب حتى نزل ساحل الأندلس فأصاب سبيًا كثيرًا ومالاً وفيرًا ، ثم رجع إلى المغرب غانمًا سالمً.

بعد مرور أقل من عام من عودة حملة طريف بن الأندلس كان موسى بن نصير قد استعد للأمر، وحشد جنوده، وجهز سفنه، واختار قائدًا عظيمًا لهذه المهمة الجليلة هو طارق بن زياد والي طنجة ، كانت لديه مواهبه العسكرية والقوة والشجاعة والإقدام والصدارة ، وهيأت له ملكاته أن يكون موضع ثقة الفاتح الكبير موسى بن نصير ، فولاه قيادة حملته الجديدة على الأندلس.

فركب البحر في سبعة آلاف من المسلمين ، فهب من نومه مستبشراً بعد الرؤيا التي رآها ، وبشَّر بها أصحابه ، ولم يشكوا في الظفر . ورست السفن عند جبل لا يزال يعرف حتى اليوم بجبل طارق ، وكان نزوله في رجب سنة ٩٢هـ ، ولما نزل فتح الجزيرة الخضراء وغيرها ، وبلغ لذريق نزول المسلمين بأرض الأندلس ، عظم ذلك عليه ، وكان غائباً في بعض غزواته ، فجمع جيشاً

جراراً بلغ مائة ألف ، وهو واثق إلى النصر مطمئن إلى عدده وعتاده.

وكتب طارق إلى موسى يطلب منه المدد ويخبره بما فتح الله عليه ، وأنه قد زحف عليه ملك الأندلس بما لا طاقة له به ، فبعث إليه موسى بخمسة آلاف مقاتل معظمهم من العرب ، فتكامل المسلمون اثني عشر ألفاً ومعهم يوليان يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الأخبار ..

فأتاهم "لذريق" في جنده والتقى الجيشان على نهر لكة ، دامت المعركة ٨ أيام وقاوم القوط مقاومة عنيفة في بادئ الأمر فأظهر فرسان القوط مقدرة عظيمة أول المعركة ، وثبتوا لضغط المسلمين ، وأخذ يليان ورجاله يخذلون الناس عن لذريق ويصرفونهم عنه ، قائلين لهم: إن العرب جاؤوا للقضاء على لذريق فقط ، وإنهم إن خذلوا لذريق اليوم صفت لكم الأندلس بعد ذلك.

وقد سميت هذه المعركة بسهل الرباط وقيل باسم النهر الذي وقعت فيه وادي لكة ، ويطلق بعض المؤرخين على المعركة مسمى معركة شذونة ، وتسمى أيضاً المعركة بالإسبانية بمعركة "دي لا جونا دي لا خاندا " والتي تعني معركة بحيرة لا

خندا الواقعة بالقرب من ميدان المعركة .

ونجح المسلمون في الصمود والثبات ثمانية أيام عصبية ، حتى مالت كفة النصر إلى صالحهم ، وتحول جيش لذريق العرمرم إلى غثاء كغثاء السيل ، لا خير فيه ولا غناء ، فقد كان على ضخامته متفرق الكلمة موزع الأهواء ، تمزق صفوفه الخيانة فاضطرب نظام جيشه وفر الكثير منهم ، وخارت قوى لذريق ولم تغنه شجاعته شيئاً ، ويئس من النصر لما رأى جنده يفرون أو ينضمون للمسلمين.

وهجم طارق على لذريق فضربه بسيفه فقتله ، وقيل: إنه جرحه ورمى بنفسه في وادي لكة فغرق ، وحمل النهر جثته إلى المحيط.

بعد هذا النصر الذي تم للمسلمين بحمد الله تعالى تعقب طارق فلول الجيش المنهزم الذي لاذ بالفرار ، وتوسع طارق في الفتح ، وتوجه إلى المدن الرئيسية في الأندلس. وسار الجيش فاتحا بقية البلاد ، ولم يلق مقاومة عنيفة في مسيرته نحو الشمال ، وفي الطريق إلى طليطلة بعث طارق بحملات صغيرة لفتح المدن، فأرسل مغيثًا الرومي إلى قرطبة في سبعمائة فارس ، فاقتحم أسوارها الحصينة واستولى عليها دون مشقة.

وأرسل حملات أخرى إلى غرناطة والبيرة ومالقة ، فتمكنت من فتحها ، وبدأت الأندلس منذ أن افتتحها طارق تاريخها الإسلامي ، وأخذت في التحول إلى الدين الإسلامي واللغة العربية ، وظلت وطنا للمسلمين طيلة ثمانية قرون ، كانت خلالها مشعلا للحضارة ومركزًا للعلم والثقافة.

غزو الصين: (.. فأعلموه أني قد حلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأجبي خراجهم ..).

كانت هذه مقولة القائد العربي المشهور قتيبة بن مسلم الذي أعلن في عام ٩٦ هـ النفير العام والعبور من فرغانة إلى الصين ، بعد أن وصلت الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى الصين شرقاً وإلى ما وراء جبال البيرينية غرباً ، فبلغ أقصى مداه في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي حكم أوسع رقعة ، ونشر أعظم دين في كل بقعة.

وبعد أن فتح قتيبة بن مسلم مدينة "كاشغر" عبر نهر سيحون النهر الذي يشكل الحد الطبيعي الفاصل بين الفرس والترك وبين المغول ، وبذلك كان أول تحد مباشر من المسلمين للشعوب المغولية.

ولم تكن الصين مجهولة لدى العرب ، فقد كانت الصلات التجارية قائمة بينهم منذ القدم ، وعندما توفي يزدجرد آخر ملوك آل ساسان في فارس استنجد ابنه فيروز بالصين لتنصره على العرب وتعاونه في استعادة ملكه غير أن امبراطور

الصين اكتفي بإرسال مبعوث من قبله ليدافع عن ضية الأمير الهارب.

وبعد فتح كاشغر طلب إمبراطور الصين " يوانغ جونغ " وفداً يمثل قتيبة ، وكتب إليه كتاباً جاء فيه: (ابعث إلينا رجلاً من أشراف من معكم يخبرنا عنكم ، ونسائله عن دينكم). فقام قتيبة بانتخاب اثني عشر رجلاً من أفناء القبائل من عسكره ، لهم جمال وأجسام وألسن وشعور وبأس ، بعد أن بحث وسأل عنهم فوجدهم من صالح من هم منه ، فكلمهم قتيبة وفاطنهم فرأى عقولاً وجمالاً ، فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخز والوشي واللين من البياض والرقيق والنعال والعطر ، وحملهم على خيول مطهمة تقاد معهم ، ودواب يركبونها .

فأرسل قتيبة بن مسلم إلى ملكها هذا الوفد برئاسة هبيرة بن المشمرج الكلابي ، وقال لهم:" **سيروا على بركة الله وبالله التوفيق ، لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد ، فإذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد حلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأجبي خراجهم** ".

فسار الوفد على بركة الله تعالى إلى ملك الصين ، فلما قدموا أرسل إليهم

يدعوهم ، فدخلوا الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل ثم مسوا الغالية وهو نوع من الطيب ، وتدخنوا ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه ، وعنده عظماء أهل مملكته ، فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا ، فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوماً ما هم إلا نساء ، ما بقي منا أحد حين رآهم ووجد رائحتهم إلا اشتهى النساء !!

فلما كان اليوم الثاني أرسل إليهم فلبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه، فلما دخلوا عليه قيل لهم: ارجعوا ، فقال لأصحابه: كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا: هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى.

وفي اليوم الثالث أرسل ملك الصين إليهم ، فشدوا عليهم سلاحهم ، ولبسوا البيض والمغافر ، وتقلدوا السيوف ، وأخذوا الرماح ، وتنكبوا القسي ، وركبوا خيولهم ، وغدوا ، فنظر إليهم إمبراطور الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما دنوا ركزوا رماحهم ، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين ، فقيل لهم قبل أن يدخلوا: ارجعوا ، لما دخل قلوبهم من خوفهم.

فانصرفوا فركبوا خيولهم ، واختلجوا رماحهم ، ثم دفعوا خيولهم كأنهم

يتطاردون بها فقال الملك لأصحابه: كيف ترونهم ؟ قالوا: مارأينا مثل هؤلاء قط !

فأرسل إليهم يوانغ جونغ ملك الصين في اليوم التالي ، أن ابعثوا إلي زعيمكم وأفضلكم رجلاً ، فبعثوا إليه هبيرة ، فقال له حين دخل عليه: قد رأيتم عظيم ملكي ، وإنه ليس أحد يمنعكم مني ، وأنتم في بلادي ، وإنما أنتم بمنزلة البيضة في كفي ، وأنا سائلك عن أمر فإن لم تصدقني قتلتك وإياهم ، قال: سل ، قال: لم صنعتم ما صنعتم من الزي في اليوم الأول .. والثاني .. والثالث .. ؟

فقال له هبيرة: أما زينا في يومنا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم ، وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا ، وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا ، فإذا هاجنا هيج وفزع كنا هكذا ، قال الملك: ما أحسن ما دبرتم دهركم ! فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف ، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه ، قال له هبيرة : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون أي بلاد الشام ! وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ! وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه.

فقال ملك الصين: فما الذي يرضي صاحبك ؟ فقال له هبيرة: إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويعطى الجزية ، فقال ملك الصين: فإنا نخرجه من يمينه نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه ، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه بجزية يرضاها. فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب من الصين وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن جوائزهم فساروا فقدموا بما بعث به فقبل قتيبة الجزية ووطئ التراب ..

وقد اكتسبت العلاقات فيما بعد مع الصين أهمية عظيمة أبان حكم هشام بن عبد الملك الذي أرسل سفيراً له يدعى سليمان إلى الأمبراطور "هزوان تسنغ".

عمورية: (.. وامعتصماه .. لبيك لبيك ..).

بعد أن تولى المعتصم الخلافة انصرف بكليته للقضاء على فتنة بابك الخرمي ، حيث كانت وصية أخيه الخليفة المأمون له وهو على فراش المرض أن يقضي على فتنة بابك الخُرَّمي الذي كان زعيم فرقة ضالة ، تؤمن بالحلول وتناسخ الأرواح ، وتدعو إلى الإباحية.

وتعدُّ معركة عمورية سنة ٢٢٣هـ ، أبرز المعارك بين المسلمين والبيزنطيين في عهد المعتصم بالله ، وكان سببها اعتداء الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميخائيل على بعض الثغور والحصون على حدود الدولة الإسلامية ، بعد تحريض من بابك الخُرَّمي الذي استغل انشغال الخليفة المعتصم بالقضاء على تلك الفتنة الهوجاء ، بالكتابة إلى إمبراطور الروم بتحريضه على غزو الدولة العباسية ، بعد أن هوّن بابك الخرمي أمر الهجوم على إمبراطور الروم ..

فكتب له بأن معظم جيوش الدولة مشغول بالقضاء عليه ، ولم يبق في العاصمة قوة تدافع عنها ووعده باعتناق المسيحية هو وأتباعه ، بعد أن ضاق عليه الحصار من الخليفة المعتصم ، واشتد الخناق ، وأيقن ألا مفر من الاستسلام.

فعزز ذلك الأمر من رغبة الإمبراطور في الهجوم على الدولة العباسية ، فخرج تيوفيل في سنة ٢٢٣هـ بعد سنتين من رسالة بابك ، وانقض تيوفيل على مدينة "زبطرة" وأعمل بها السيف ، وقتل الصغير والكبير بلا إنسانية ولا رحمة ، وسبى من النساء أكثر من ألف امرأة بعد ذبح أطفالهن ، ومثل بمن صار في يده من المسلمين ، وسمل أعينهم ، وقطع آذانهم وآنافهم ، ثم أغار على ملطية فأصابها ما أصاب زبطرة ، فضج المسلمون في مناطق الثغور كلها ، واستغاثوا في المساجد والطرقات.

وحين بلغ المعتصم ما وقع للمسلمين في هذه المدن ، وصيحة امرأة مسلمة وقعت في أسر الروم: " **وامعتصماه** " فأجابها وهو جالس على سريره:" **لبيك لبيك** " ونادى بالنفير العام ، ونهض من ساعته ، وجهز جيشًا ضخمًا أرسله على وجه السرعة لإنقاذ المسلمين ، ثم خرج بنفسه على رأس جيش كبير ، وهذا ما يجب أن تكون عليه الأمة من الحرص والاستعداد والقوة.

وكان المعتصم قد سأل: أي بلاد الروم أمنع وأحصن ؟ فقيل: عمورية ؛ لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإسلام وهي عين النصرانية ، فسارع بتعبئة

الحملة وتجهيز الجيش بكل ما يحتاجه ، حتى قيل: إنه لم يتجهز قبله مثله ، وخرج إلى عمورية في جمادى الأولى ٢٢٣هـ ولم تكن من عادة الحملات الكبرى الخروج في ذلك الوقت ، غير أن الخليفة كان متلهفا للقاء ، ورفض قبول توقيت المنجّمين الذين تنبئوا بفشل الحملة إذا خرجت في هذا التوقيت ، وهذا ما عبر عنه الشاعر الكبير "أبو تمام" في بائيته الخالدة التي استهلها بقوله:

السيف أصدق أنباءً من الكتب ** في حدّه الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في ** متونهن جلاء الشك و الريب
والعلم في شهب الأرماح لامعةً ** بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية ؟ أم أين النجوم ؟ وما ** صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

علم المعتصم من عيونه المنتشرين في المنطقة أن الإمبراطور البيزنطي قد كمن شهرًا لملاقاة الجيش الإسلامي على غرّة ، وأنه ذهب لمفاجأة الأفشين ، وحاول الخليفة أن يحذر قائده ، لكنه لم يستطع ، واصطدم الأفشين بقوات الإمبراطور عند "دزمون" وألحق الأفشين بالإمبراطور البيزنطي هزيمة مدوية ، وهرب الإمبراطور إلى القسطنطينية ، وبقي قسم من جيشه في عمورية بقيادة خاله "ياطس" حاكم "أناتوليا".

دخلت جيوش المعتصم أنقرة التي كانت قد أخليت بعد هزيمة الإمبراطور ، وتوجهت إلى عمورية فوافتها بعد عشرة أيام ، وضربت عليها حصارًا شديدًا.

واجتمعت كل العساكر بقيادة المعتصم عند عمورية ، فركب ودار حولها دورة كاملة ، وقسمها بين القواد ، جاعلاً لكل واحد منهم أبراجاً من سورها ، وذلك على قدر كثرة أصحابه وقلتهم ، وصار لكل قائد منهم ما بين البرجين إلى عشرين برجاً.

أما أهل عمورية فقد تحصنوا داخل أسوار مدينتهم ، متخذين ما استطاعوا من الحيطة والاحتراز. وبدأ الحصار في ٦من رمضان ٢٢٣هـ .

وأحاطت الأبراج الحربية بأسوار المدينة ، وفي الوقت نفسه بعث الإمبراطور البيزنطي برسوله يطلب الصلح ، ويعتذر عما فعله جيشه بزبطرة ، وتعهد بأن يبنيها ويردّ ما أخذه منها ، ويفرج عن أسرى المسلمين الذين عنده ، لكن الخليفة رفض الصلح ، ولم يأذن للرسول بالعودة حتى أنجز فتح عمورية.

ابتدأت المناوشات بتبادل قذف الحجارة ورمي السهام فقُتل كثيرون. وكان

يمكن أن يستمر هذا الحصار مدة طويلة ، لولا أن المعتصم علم من عربي متنصر ، تزوج في عمورية وأقام بها ، أن موضعاً من المدينة جاءه سيل شديد ، فانهار السور في ذلك الموضع فكتب ملك الروم إلى ياطس عامله على عمورية أن يعيد ذلك الموضع ويعيد تشييده ، تحسباً لنتائج فعلته في زبطرة والثغور الإسلامية ، فتوانى باطس في بنائه وترميمه.

فأمر المعتصم بتكثيف الهجوم عليه ، وعندما توالت قذائف المجانيق على هذا الموضع الواهن انصدع السور ، وفي صباح يوم جديد من الحصار بدأ القتال على الثلمة التي فتحت في السور ، فتنبه المعتصم أن الموضع كان ضيقاً ولن يمكنهم من اختراق الثلمة فأمر المعتصم بالمنجنيقات الكبار التي كانت متفرقة حول السور فجمع بعضها إلى بعض ، وجعلها تجاه الثلمة ، وأمر أن يرمى ذلك الموضع لتتسع الثلمة ، ويسهل العبور ..

وبقي الرمي ثلاثة أيام فاتسع لهم الموضع المنثلم ، واستخدمت أكباش الدبابات أيضاً لتوسيع الثلمة ، وانهارت معه قوى المدافعين عنه بعد أن يئسوا من المقاومة ، واضطر قائد الحامية "ياطس" إلى التسليم ، فدخل المعتصم وجنده مدينة

عمورية ، ورفعوا راية النصر والعز بفضل الله سبحانه.

وتحقق للمسلمين النصر على الدولة البيزنطية في معركة عمورية بقيادة الخليفة المعتصم العباسي بحمد الله تعالى ، الذي هبّ لنجدة إخوانه المسلمين والقيام بتأديب الدولة البيزنطية.

سومانات: (.. إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم ؟ أحب إلى من أن يقال: الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا ..).

كانت هذه كلمة القائد الكبير محمود بن سبكتكين أمير الدولة الغزنوية ، التي تعتبر دولته من أكبر الدول في تاريخ الإسلام لما وفقت إليه من توسيع رقعة الإسلام في شمال الهند وغربه وكمشير ، كما يقول ابن كثير رحمه الله.

وقد بلغ في فتوحه إلى ما لم تبلغه في الإسلام راية ولم تتل به قط آية ، وكان له الفضل الكبير بعد الله سبحانه في دخول الإسلام بقوة إلى الهند ، بعد محمد بن القاسم القائد العظيم الذي أدخل أول قدم للإسلام في الهند في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي ، حيث دار قتال عنيف جداً بين المسلمين بقيادته وبين الهندوس بقيادة ملكهم داهر عند مدينة " الديبل " انتصر فيها المسلمون على الهندوس ملكهم داهر وواصل ابن القاسم فتحه حتى فتح بلاد السند كلها وكان كلما دخل مدينة حطم أصنامها ومعابدها وأظهر شعائر الإسلام ودخل كثير من أهل السند في الإسلام .

فبعد أن رتب محمود أمير الدولة الغزنوية أو السبكتكيتية البيت الداخلي

وتأكد من سلامة الصف المسلم وجه كل قواته بفتح بلاد الهند وذلك ابتداءاً من سنة ٣٩٢هـ حتى سنة ٤١٨هـ أي أكثر من خمس وعشرين سنة متصلة يجاهد أمراء الهند الكفرة ..

وكان أول صدام له مع الملك "جيبال" أكبر ملوك الهند سنة ٣٩٠هـ فانتصر محمود انتصاراً هائلاً ووقع جيبال نفسه في أسره فأطلقه محمود فانتحر جيبال بإحراق نفسه في النار ، وفتح محمود إقليم البنجاب وقضى فيه على جماعات من القرامطة يقودهم زنديق اسمه " أبو الفتوح داود " ونشر الإسلام الصحيح في كل نواحي السند حتى البنجاب .

وكانت انتصار محمود على جيبال قد أحدث دوياً هائلاً في الهند كلها جعل أمراء شمال الهند الملقبين "بالراجبوت" يكونون تحالفاً مقدساً فيما بينهم للقضاء على المسلمين وانتهز هذا التحالف الهندوسي غياب محمود الغزنوي وأعادوا احتلال عدة بلاد فتحها محمود فأسرع إليهم محمود بجيش كثيف وسحق جيش الهند المتحد وذلك سنة ٣٩٨هـ ثم أكمل فتح بلاد كشمير ودخل أهلها في دين الله أفواجاً.

وواصل محمود الغزنوي فتحه لبلاد الهند وكل مدينة يفتحها يحطم أصنامها ويهدم معابدها حتى هدم عشرة آلاف معبد هندوسي ، وكان كلما فتح بلداً أو هدم صنماً أو حطم معبداً قال الهنود: إن هذه الأصنام والبلاد قد سخط عليها الإله "سومنات" ، واستمر السلطان محمود بن سبكتكين في حملاته وفتوحاته لبلاد الهند ولم يعر السلطان محمود الأمر اهتمامه حتى كثرت القالة ، وأصبحت يقيناً عند الهنود ، فسأل عن " سومنات " هذا فقيل له:

إنه أعظم أصنام وآلهة الهنود ، ويعتقد الهنود فيه أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه على عقيدة التناسخ فيعيدها فيمن شاء ، وأن المد والجزر الذي عنده إنما هو عبادة البحر له !!

وعندما اطلع سلطان الإسلام السلطان محمود على حقيقة الأمر عزم على غزوه وتحطيمه وفتح معبده ، ظناً منه أن هؤلاء الهنود إذا فقدوه ورأوا كذب ادعائهم الباطل وضلالهم المبين دخلوا في دين الإسلام العظيم ، فاستخار الله عز وجل ، وخرج بجيوشه ومن انضم إليه من المتطوعين والمجاهدين وذلك في شعبان سنة ٤١٦ هجرية ، واخترق صحارى وقفار مهلكة لا ماء فيها ولا مرعى ، واصطدم بالعديد من الجيوش الهندية وهو في طريقه إلى ذلك الصنم.

وكان القائد محمود قد أعلم الجميع بوجهته وهدفه ، ليرى الهنود إن كان صنمهم هذا سيدفع عن نفسه أو عن غيره شيئاً.

وعند وقت الزوال كما هي عادة المسلمين الفاتحين زحف السلطان محمود ومن معه من أبطال الإسلام ، وقاتلوا الهنود بمنتهى الشجاعة ، حتى إن الهنود صعقوا من هول الصدمة القتالية بعدما ظنوا أن إلههم الباطل سيمنعهم ويهلك عدوهم ، ونصب المسلمون السلالم على أسوار المدينة وصعدوا عليها وأعلنوا كلمة التوحيد والتكبير وانحدروا كالسيل الجارف داخل المدينة ..

وحينئذ اشتد القتال جداً وتقدم جماعة من الهنود إلى صنمهم سومنات وعفروا وجوههم وسألوه النصر ، ثم خرجوا للقتال أفواجاً ، وسبحان من أضل هؤلاء حتى صاروا أضل من البهائم السوائم ، فقتلوا جميعاً شخصاً إثر شخص ، وهكذا فريق تلو الآخر يدخل ثم يقتل ، حتى راح منهم خمسون ألف قتيل ، ولما شعروا أنهم سيفنون بالكلية ركبت البقية منهم مراكب في النهر وحاولوا الهرب ، فأدركهم المسلمون فما نجا منهم أحد.

وبعد الهزيمة المدوية التي نالها عباد الحجر والبقر ، وبعد القتال الشرس حول

صنم سومنات رأى بعض عقلاء الهنود مدى إصرار المسلمين على هدم سومنات وشراستهم في القتال حتى ولو قتلوا جميعاً عن بكرة أبيهم ، فطلبوا الاجتماع مع السلطان محمود ، وعرضوا عليهم أموالاً هائل ، وكنوزاً عظيمة في سبيل ترك سومنات والرحيل عن ، ظناً منهم أنهم جاءوا لأجل ذلك !!

فجمع السلطان محمود قادته ، واستشارهم في ذلك ، فأشاروا عليه بقبول الأموال للمجهود الضخم والأموال الطائلة التي أنفقت على تلك الحملة الجهادية ، فبات السلطان طول ليلته يفكر ويستخير الله عز وجل.

ولما أصبح قرر هدم الصنم والإقدام على ذلك ، وعدم قبول الأموال ، وقال كلمته الشهيرة وبصمته القوية: " **وإني فكرت في الأمر الذي ذكر، فرأيت إذا نوديت يوم القيامة أين "محمود" الذي كسر الصنم ؟**

أحب إلى من أن يقال: الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا ؟ ! ".

ملاذكرت: (..: أنا أحتسب عند الله نفسي وإن سعدت بالشهادة وإن نصرت فما أسعدني وأنا أمسي ..).

خرج ملك الروم " رومانوس " في جمع كبير من الروم والروس والكرج والفرنجة وغيرهم من الشعوب النصرانية ، بعد أن فتح السلاجقة بلاد "الكرج" والقسم الأكبر من أرمينية ، تحدياً لبيزنطية وبخاصة بعد أن أدرك الأمبراطور البيزنطي، أن " ألب أرسلان "يطبع المناطق المفتوحة بالطابع الإسلامي العظيم.

فعلم السلطان القائد الباسل ألب أرسلان بذلك واستعد للقاء والمواجهة مع الروم ، وهكذا يجب أن تكون الأمة مستعدة متيقظة متنبه لأعداها باستمرار فلا أمن لهم ولا أمان ، فاستعد السلطان ألب أرسلان للأمر واحتسب نفسه ومن معه ، وكان شجاعاً قوياً خلد له التاريخ كلمته المشهورة التي قال فيها: (**أنا أحتسب عند الله نفسي وإن سعدت بالشهادة ففي حواصل الطيور الخضر من حواصل النسور الغبر رمسي ، وإن نصرت فما أسعدني وأنا أمسي ، ويومي خير من أمسي**).

وكان عدد المسلمين لا يقارن بعدد الروم فقد كان الروم يقارب الثلاثمائة ألف

جندي ، بينما المسلمين كانوا قرابة خمسة عشرة ألف ، ولم يكن لديه وقت لاستدعاء مدد من المناطق التابعة له ، ومع ذلك هجم بمن معه على مقدمة الأعداء وكان فيها عشرون ألفاً معظمهم من الروس ، فأحرز المسلمون عليهم انتصاراً عظيماً وتمكنوا من أسر معظم قوادهم ..

ثم أرسل السلطان ألب أرسلان من قبله وفداً إلى إمبراطور الروم وعرض عليه المصالحة ، إلاّ أنه تكبر وطغى ولم يقبل وقال : هيهات !! لا هدنة ولا رجوع إلا ببذل الري !!

فحمى السلطان وشاط ، فقال إمامه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي: إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان ، وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر ، فإنهم يدعون للمجاهدين .

فأعد المسلمون العدة للمعركة الفاصلة واجتمع الجيشان يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٤٦٣هـ ، فلما كان وقت الصلاة من يوم الجمعة

صلى السلطان بالعسكر ودعا الله تعالى وابتهل وبكى وتضرع وقال لهم: (نحن مع القوم تحت الناقص وأريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي يدعي فيها لنا وللمسلمين على المنابر ، فإما أن أبلغ الغرض وإما أن أمضي شهيداً إلى الجنة ، فمن أحب أن يتبعني منكم فليتبعني ، ومن أحب أن ينصرف فليمض مصاحباً فما هاهنا سلطان بأمر ولا عسكر يؤمر فإنما أن اليوم واحد منكم ، وغاز معكم ، فمن تبعني ، ووهب نفسه لله تعالى فله الجنة أو الغنيمة ومن مضى حقت عليه النار والفضيحة).

فقالوا: مهما فعلت تبعناك فيه وأعناك عليه ، فبادر ولبس البياض وتحنط استعداداً للموت وقال: إن قتلت فهذا كفني ..

ثم وقع الزحف بين الطرفين ونزل السلطان ألب أرسلان عن فرسه ومرغ وجهه بالتراب وأظهر الخضوع والبكاء لله تعالى وأكثر من الدعاء ثم ركب وحمل على الأعداء ، وصدق المسلمون القتال وصبروا وصابروا حتى زلزل الله الأعداء وقذف الرعب في قلوبهم ، ونصر الله المسلمين عليهم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم جموعاً كبيرة.

كان على رأسهم ملك الروم نفسه فأحضر ذليلاً إلى السلطان ، وكان الذي أسره أحد غلمان المسلمين فقنعّه بالمِقرعة ..

فلما أحضر بين يدي السلطان قال له: ويلك ألم أبعث أطلب منك الهدنة ؟

قال : دعني من التوبيخ.

فقال له السلطان: ما كان عزمك لو ظفرت بي ؟

قال : كل قبيح ، سبحان الله ملعونين أينما ثقفوا !؟

قال: فما تؤمَّلُ وتُظُن بي ؟ القتل أو تُشهّرني في بلادك ، والثالثة بعيدة: العفو وقبول الفداء.

قال: ما عزمت على غيرها ، وهذه عبقرية السلطان للحفاظ على أرواح المسلمين الأسارى عند الروم فالنفس المؤمنة لا تعادلها مائة نفس كافرة ، وأيضاً ليطفئ نار الفتنة وتكون دعوة حق ونور للبيزنطيين الضالين أجمع ..

فاشترى ملك الروم " رومانوس " نفسه بألف ألف دينار وخمس مائة ألف دينار ، وأطلق جميع أسارى المسلمين في بلاده ، كما طلبه السلطان ألب أرسلان ذلك.

وبهذا كانت معركة " ملازكرد " من المعارك الفاصلة في التاريخ ويسميها بعض المؤرخين باسم الملحمة الكبرى ..

وتعد أكبر نكسة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وأصبحت الأراضي البيزنطية تحت رحمة السلاجقة وبذلك يكون السلاجقة قد تابعوا الجهاد الذي قام به المسلمون ضد الروم.

معركة الزلاقة: (.. إن رعي الجمال خير من رعي الخنازير ..).

كانت هذه المقولة الشهيرة للمعتمد بن عباد حاكم "إشبيلية" في الأندلس بعد أن وصل به الحال إلى أن يدفع الجزية لألفونسو النصراني ملك "قشتالة" ، مقابل أن يكف اليد عنه وعن بلاده . وكان المعتمد يدفع له الجزية سنويا مثلما كان يفعل بقية حكام الطوائف – سوى بنو الأفطس – نظير اتقاء شره !!

وقد ظلّت الأندلس فترة من الزمان تحت حكم الخلافة الأموية منذ أن فتحها المسلمون في عهد الوليد بن عبد الملك ، وبعد سقوط دولة الأمويين أسس عبد الرحمن الداخل خلافة أموية بالأندلس استمرت قرابة ثلاثة قرون ، ثم انقسمت إلى دويلات وأقاليم صغيرة ، وانفرد كل حاكم بإقليم منها ، فيما عرف بعد ذلك بعصر ملوك الطوائف ، وانشغل الحكام بعضهم ببعض ، واشتعلت بينهم النزاعات والخلافات.

وكان المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية وأقوى ملوك الطوائف في ذلك الوقت قد تعاون مع ألفونسو في حربه ضد بني ذي النون بسبب كونهم أبرز منافسيه

السياسيين في المنطقة ! فسقطت "طليطلة" التي كان يحكمها بنو ذي النون في يد ألفونسو النصراني ملك "قشتالة" ، وكانت طليطلة عاصمة الدولة الأموية سابقا لمدة تزيد عن ٣٥٠ عاماً ..

وكانت المدينة قد صمدت لأكثر من ٥ أعوام متتالية من الغارات المتتالية ثم الحصار من قبل القشتاليين ، ولم يتحرك لنصرتها سوى حاكم بطليوس باداخوز المتوكل بن الأفطس الذي أرسل جيشا بقيادة ابنه الفضل ، إلا إنه لم ينجح في رد الهجوم عليها ، بعد أن خذلها ملوك الطوائف ولم يهبّوا لنصرتها بسبب خوفهم من ألفونسو ! وكذلك الخوف من بطشه أيضاً !

وبعد استيلاء على " طليطلة " اتجه ألفونسو لمملكة بني هود المتهالكة الضعيفة وضرب حصارا على عاصمتهم مدينة "سرقسطة" واستولى عليها الأمر الذي أدى إلى إلقاء الرعب في قلوب الأندلسيين ، وخصوصا بنو العباد إذ كانت سرقسطة من حلفاء ألفونسو إلاّ أنه غدر بهم.

ومن ثم أصبح ألفونسو مجاوراً لمملكة "إشبيلة " التي كان يحكمها المعتمد بن عباد ، فبالغ في إذلاله وإهانته ، حتى إنه أرسل إليه يهودياً ليأخذ منه الجزية ،

فرفض تسلُّمها بحجة أنها من عيار ناقص ، وهدَّد بأنه إذا لم يقدم له المال من عيار حسن فسوف تُحتل مدائن " إشبيلية ". فضاق المعتمد ذرعاً باليهودي وأمر بصلبه وسجن أصحابه ، وبلغ الخبر ألفونسو فازداد حنقاً وغيظاً على المعتمد ، وبعث جنوده للانتقام والعبث والقيام بعمليات السلب والنهب ، وقام بالإغارة على حدود " إشبيلية" وحصارها ثلاثة أيام ..

وفي أثناء ذلك أرسل ألفونسو رسالة إلى المعتمد بن عباد يتهكم فيها ويقول: " كَثُرَ – بطول مقامي – في مجلسي الذباب ، واشتدَّ عليّ الحرّ ، فأتْحِفْني من قصرك بمروحة أُروِّح بها عن نفسي وأطرد بها الذباب عن وجهي" ، فأخذ المعتمد الرسالة وكتب على ظهرها: **"قرأت كتابك ، وفهمت خُيلاءك وإعجابك ، وسأنظر لك في مراوِح من الجلود اللمطية تُروِّح منك لا تروح عليك إن شاء الله تعالى"** وكان قد قصد أنه سيستعين بقوات خارجية ، فارتاع لذلك وفهم مقصود الرسالة .

فقام ملوك الطوائف وخاصة ابن عباد ووجهاء غرناطة وقرطبة وبطليوس بالاتفاق فيما بينهم على طلب النصرة من الدولة المرابطية الفتية التي قامت على

أسس الجهاد على الرغم من كثرة الاعتراضات من بعض القادة بسبب خوفهم من تفرد يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين بالحكم وحده ، وبالسلطان دونه ، حال قدومه !!

فقالوا له: " المُلْك عقيم ، والسيفان لا يجتمعان في غِمْد واحد " ، وعاتبه ابنه وقال له: " يا أبت أتُدخِل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا ، ويبدّد شملنا " !!
إلاّ أن المعتمد قال قولته الحكيمة التي سجلها التاريخ: " **أي بني ، والله لا يسمع عني أبداً أنني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى ، فتقوم علي اللعنة في منابر الإسلام مثلما قامت على غيري ، تالله إنني لأوثر أن أرعى الجمال لسلطان مراكش على أن أغدو تابعاً لملك النصارى وأن أؤدي له الجزية ، إن رعي الجمال خير من رعي الخنازير**".

فأجاب ابن تاشفين القائد البطل النداء وقال: " أنا أول منتدِب لنصرة هذا الدين" ، وعبر البحر في جيش عظيم ، واشترط إعطائه الجزيرة الخضراء لتكون مركزا له في الأندلس ونقطة رجوع وترتيب لأوراقه في حالة انهزامه في حربه مع النصارى أو في حال غدر أحد القادة المحليين. فترك يوسف بن تاشفين ٥ آلاف

جندي له في الجزيرة الخضراء وانطلق هو بـ١٢ ألف مقاتل شمالا نحو إشبيلية حيث تجمع حلفاؤه من ملوك الطوائف ليصل عدد الجند لما بين ٢٠ و ٣٠ ألف مقاتل بين فارس وماش.

ولما علم ألفونسو بتحرك ابن تاشفين كتب إليه يهدّده ويتوعّده ، فورد عليه الفذ ابن تاشفين بقوله: "**الذي يكون ستراه** " . فلما عاد الكتاب إلى ألفونسو ارتاع لكلامه ، فزاد استعداداً وتأهّباً.

وقيل أنه رأى في منامه كأنه راكبٌ فيل ، وبين يديه طبلٌ صغير ، وهو ينقر فيه ، فقصّ رؤياه على القسيسين ، فلم يعرف تأويلها أحد ، فأحضر رجلاً مسلماً ، عالماً بتعبير الرؤيا ، فقصّها عليه ، فاستعفاه من تعبيرها ، فلم يعفه ، فقال:" تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز ، وهو **قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)** الفيل-١ ، **وقوله تعالى: (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ)** المدثر ٨-٩ ، ويقتضي هلاك هذا الجيش الذي تجمعه ".

عندما علم ألفونسو بتحرك ابن تاشفين ترك حصاره لسرقسطة فاستنفر

الصغير والكبير للقتال ، ولم يدع أحداً في أقاصي مملكته يقدر على القتال إلا استنهضه ، وتجمع النصارى من شمالي إسبانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ، معهم القسس والرهبان يحرضونهم على القتال . فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فأعجبته ، وذكر بعض المؤرخين أن عدد جنود ألفونسو وصل إلى ١٠٠ ألف منهم ٣٠ ألفا من عرب الأندلس.

فأحضر ذلك المعبّر ، وقال له: " بهذا الجيش ألقى إله محمد ، صاحب كتابكم " ، فانصرف المعبّر ، وقال لبعض المسلمين: هذا الملك هالك وكل من معه ، وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ثلاث مهلكات .. وفيه: وإعجاب المرء بنفسه**).

وعسكرت الجيوش المسيحية على بعد ثلاثة أميال من جيش المسلمين على الضفة الأخرى من نهر جريرو ، ثم كان التقاء الفريقان في سهل " الزلاقة " بالقرب من " بطليوس " ، وكان جيش المسلمين ثمانيةً وأربعين ألفاً نصفهم من الأندلسيين ونصفهم من المرابطين ، فسميت هذه المعركة بمعركة الزلاقة.

ولبث الجيشان ثلاثة أيام ، تبادل الفريقان فيها الرسائل فكتب ابن تاشفين إلى

ألفونسو يدعوه إلى الإسلام أو الجزية أو القتال ، فاختار القتال ، وكتب إليه ألفونسو يقول له: " الجمعة لكم ، والسبت لليهود وهم وزراؤنا وكتابنا وأكثر خدم العسكر منهم فلا غنى لنا عنهم ، والأحد لنا ، فإذا كان يوم الاثنين كان ما نريده من الزحف " ، وكان قد قصد من ذلك مباغتة المسلمين والغدر بهم كما كان يظن !!

فقام ألفونسو بهجوم خاطف ومفاجئ على قوات المسلمين في يوم الجمعة في العشر الأول من رمضان سنة ٤٧٩ هـ مما أربكها وكاد يخترق صفوفها وقاوم المسلمون مقاومة عنيفة لم تنجح في رد الهجوم فما كان من ابن تاشفين إلا أن أرسل جنوده على دفعات إلى أرض المعركة مما أدى لتحسين موقف المسلمين ..

وأظهر المعتمد وأصحابه من الصبر والثبات وحسن البلاء الشيء العظيم فقاتل بنفسه في مقدّمة الصفوف ، وأُثخن بالجراح ، ثم عمد ابن تاشفين على اختراق معسكر النصارى ليقضي على حراسه ويشعل النار فيه الأمر الذي أدى إلى تفرق جيش ألفونسو ، فهزمه الله شر هزيمة وأعز جنده المؤمنين في هذه المعركة ، وقام من تبقى من جيش ألفونسو بالهرب ولم يصل منهم إلى طليطلة سوى ١٠٠ فارس

وكُتبت للأندلس حياة جديدة امتدت أربعة قرون أخرى وهزم مسيحيي الأندلس هزيمة ساحقة أوقفت زحفهم واخرت احتلالهم لبلاد المسلمين بعد أن كانت على موعد مع الفناء والاستئصال.

وبعد انتهاء القتال قام الأندلسيين بمعاودة ما كانوا يفعلوه قبل المعركة. فقام ابن تاشفين باقتحام الأندلس ليزيل الفتنة فيها ويضمها موحدة إلى دولته. والقبض على أغلب ملوك الطوائف ومنهم ابن عباد وأتبعت ممالكهم لدولته.

حران أو البليخ: (.. لا أوثر شفاء غيظي بشماته الأعداء بالمسلمين ..).

بعد أن تولى جكرمش إمارة الموصل عام ٤٩٥هـ ، عقد تحالف بينه وبين سقمان بن أرتق أمير الأراتقة في ديار بكر ، بالرغم من الخلافات والنزاعات التي كانت بينهما ، لوقف تقدم الصليبيين شرقاً باتجاه قلب الجزيرة ، في عهد الدولة السلجوقية ، حيث كان للانتصارات السريعة التي أحرزها الصليبيون ، واعتزامهم الاستيلاء على حران الواقعة مفرق الطرق إلى العراق والجزيرة والشام دافعاً لهم ، فضلاً عما يعنيه الاستيلاء على حران من قطع الصلة بين المسلمين في بلاد فارس والعراق والجزيرة والشام ، وإعطاء الصليبيين فرصة لمهاجمة الموصل ، وتأمين الرها ، والسيطرة على إقليم الجزيرة.

فاستغل الصليبين فرصة الصراع بين الأمراء المسلمين ، وقاموا بإعداد جيشهم الذي وصل عدده نحو ثلاثة آلاف فارس ، ونحو ثلاثة أمثال هذا العدد من الرجالة ، وكان هذا الجيش يمثل القوة الضاربة الكاملة لدى صليبيين شمالي الشام ، وانحاز كل من جوسلين أمير تل باشر وبوهمند أمير أنطاكية ، وابن أخته تانكرد ،

وبطريرك إنطاكية ، وجيش ضم فرسان الصليبيين وأمراءهم وعدداً كبيراً من الأرمن ورجال الدين.

فكان لهذه العوامل جميعاً الأثر الحاسم في تناسي كل من جكرمش وسقمان خلافاتهما القديمة ، والعمل سوية لإيقاف تقُّدم الصليبيين إلى ديار المسلمين والعبث بها.

فأرسل كل من جكرمش وسقمان إلى صاحبه يدعوه إلى الاجتماع لتلاقي أمر حّران ويعلمه أنه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه من عند الله سبحانه فأجاب كل منهما صاحبه ، واجتمعا على الخابور عند رأس العين ، حيث عززا تحالفهما وتوجها على رأس عشرة آلاف فارس من الترك والعرب والأكراد لمنازلة الرها قبل أن يتعرضا للهجوم ..

وعندما سمع بلدوين الثاني أمير الرها نبأ احتشادهم في رأس العين أرسل إلى جوسلين وبوهمند يستنجد بهما، واقترح عليهما أن يحَّولا وجهة الهجوم إلى حران ، وبعد أن أبقى بلدوين حامية صغيرة في الرها اتخذ طريقه إلى حران ..

وعندما احتشد هذا الجيش أمام حران كان جكرمش وحليفه لا يزالان يزحفان نحو " الرها " كاد الصليبيون أن يستولوا على حران ، بعد وقت قصير من فرض الحصار عليها ، إلا أن الخلاف الذي نشب بين بلدوين لي بور ، وبوهمند ، وإصرار كل منهما على رفع رايته على المدينة بعد الاستيلاء عليها ، ساعد على صمود حران ، وأتاح للمسلمين فرصة التحرك لقتال الصليبيين قبل سقوط هذا الموقع بأيديهم ، وتم اللقاء بين الطرفين على نهر البليخ في التاسع من شعبان ..

حيث تظاهر المسلمون في بداية المعركة بالهزيمة ، فتبعهم الصليبيون نحواً من فرسخين ، فأعاد المسلمون الكرة عليهم ، وأبادوا معظم قواتهم ، وغنموا مقادير كبيرة من الأموال والممتلكات ..

وكان بوهمند أمير أنطاكية وابن أخته تانكر، قد كمَنا خلف إحدى المرتفعات لينقضّا على المسلين من مؤخرتهم حين يشتد القتال ، فلما خرجا شاهدا هزيمة رفاقهم ونهب معسكراتهم ، فأقاما في أماكنهما إلى الليل ، ومن ثم تسللاً هاربين ، فتبعهما المسلمون وقتلوا وأسروا من أصحابها

عدداً كبيراً ، بينما تمكّنا هما من الفرار إلى الرها. أما بلدوين وجوسلين فقد تم أسرهما. وكان بلدوين قد انهزم مع جماعة من قواده وخاضوا نهر البليخ ، إلا أن الأوحال أعاقت تحرّكهم السريع ؛ فلحقهم قائد تركماني من أصحاب سقمان وتمكن بفضل الله من أسرهم جميعاً ؛ حيث حمل بلدوين إلى سيده سقمان.

وعندما رأى أصحاب جكرش أنّ قوات سقمان قد استولت على حصة الأسد من غنائم الصليبيين قالوا لسيدهم: أي منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان إذا انصرفوا بالغنائم دوننا ؟ فحسنوا له اختطاف بلدوين من الأمير سقمان.

فأرسل جكرمش بعض أصحابه ، حيث تمكنوا من اختطاف الأمير الصليبي من معسكر سقمان. فلما علم هذا بما حدث، وكان خلال ذلك غائياً عن مقره ، شق عليه الأمر ، وتهيأ أصحابه للقتال ، إلا أنه ما لبث أن ردّهم وقال قولته الحكيمة وبصم بصمته القوية التي سجلها التاريخ: (**لا أوثر شفاء غيظي بشماته الأعداء بالمسلمين**).

فوحد الصفوف وجمع الكلمة وحقن الدماء ولم يجعل للصليبين فرجة على

المسلمين ، فكان عملاً حكيماً يدل على عبقريته وقيادته وبعد نظرته.

ومن ثّم تقَّدم على رأس قواته، وأخذ سلاح الصليبيين ورياتهم ، وألبس أصحابه ملابسهم وأركبهم خيلهم وجعل يأتي حصون إقليم شبختان من ديار بكر ، فيخرج الصليبيون منها ، ظناً منهم أن أصحابهم قد انتصروا فيجابههم

سقمان ويقضي عليهم ويقتحم حصونهم ، وتمكن بذلك من وضع يده على عدد من حصون المنطقة ، وقفل عائداً إلى مقر إمارته في ديار بكر ، بعد أن وفقه الله ونصره في هذه المعركة.

أما جكرمش فقد قرر المضي في القتال بعد عودة حليفه ، وقام باقتحام قلاع الصليبيين في إقليم شبختان الممتد إلى شرق الرها ، ليحمي مؤخَّرته ، ومن ثم واصل السير إلى الرها نفسها.

إلاّ أن تمهل الصليبين من قبل أدى إلى توفر الوقت لتانكرد لإصلاح وسائل الدفاع والاستعداد وبذا استطاع أن يردَّ أول هجوم قام به جكرمش ، فأمر رجال الحامية بأن يتخذوا أماكنهم للهجوم قبل بزوغ الفجر ..

وتحت جنح الظلام انقضَّ رجاله على الأتراك الذين استغرقوا في نومهم مطمئنين ، واكتمل الانتصار الصليبي بوصول بوهمند ، فهرب جكرمش مذعوراً ، وخلف من ورائه معسكره الزاخر بالثروة ، وكان ينبغي عليه أن لا يعرض جيشه للخطر بالانفراد عن جيش سقمان.

ورغم بعض البوادر السلبية التي أعقبت انتصار المسلمين في البليخ فإن جكرمش ظل يطمح لتحقيق انتصارات أخرى في هذا الميدان ، وبعد أقل من سنتين أتيح له ذلك عندما تلقى في أواخر عام ٤٩٩هـ أمراً من السلطان محمد بالقيام بحملة جديدة لمهاجمة الصليبيين ..

فاتصل بأمراء المنطقة وتمكن من تشكيل حلف واسع ضم عددا من البلدان والأمراء بعد أن تنبه لما حدث له في الرها ، إلاّ أن ذلك التحالف لم يكتب له النجاح بسبب تنازع حصل بينهم ..

ولم يكن هذا النزاع الأول والأخير بل إن النزاعات والخصومات بين القادة والأمراء أصبحت ملاحظة بكثرة وغالباً ماتكون هي السب في ضعف المسلمين

وهزائمهم ، وهذا ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

جاء في صحيح البخارى ومسلم عن عمرو بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:".. فو الله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم .."

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم .."

إلا أن ذلك كله لم يثني جكرمش حيث كان شجاعاً قوياً عن عزمه على مهاجمة أعدائه الحقيقيين ، فبادر بشن الهجوم على الرها ، ولاكنه ما إن عاد إلى الموصل حتى واجهته متاعب جديدة تجاه السلاجقة بعد أن نجح في التغلب على هجوم قامت به عساكر ريتشارد سالرنو الذي كان يحكم الرها آنذاك نيابة عن بلدوين المأسور.
وكان لهذا النصر الذي تم بحمد الله تعالى للمسلمين أن توقف التقدم الصليبي

وتوسعهم باتجاه الشرق على حساب المسلمين ، فقضي على آمالهم في العراق وإتمام السيطرتهم على إقليم الجزيرة.

وبهذا قدر لجكرمش بتحالفه مع سقمان ، أن يلعب دوراً خطيراً في تاريخ الحروب الصليبية ، وأن يقدم وحليفه للعالم الإسلامي ، أول نصر حاسم على الصليبيين ، فتح به الطريق لظهور قيادات وأحلاف إسلامية وجهت الضربات المتتالية للقوى الصليبية ، تلك القيادات التي بدأت بمودود حاكم الموصل السلجوقي ، وانتهت بصلاح الدين ، عبر إيلغازي وبلك الأرتقيين ، وآق سنقر البرسقي ، ثم عماد الدين ونور الدين الزنكيين.

حطين: (.. ها أنا أنتصر لمحمد عليه الصلاة والسلام ..).

بعد وفاة آخر الخلفاء الفاطميين السلطان " العاضد " عام ٥٦٥هـ ، انتهت بذلك الدولة الفاطمية وبدأت دولة بني أيوب " الدولة الأيوبية " بقيادة البطل صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي أبو المظفر الأيوبي الذي ظل وزيراً في الدولة الفاطمية إلى أن توفي خليفتها ، فأصبح بعد ذلك بعد أن استقرت الأمور لصالحه ملكاً وسمي بالملك الناصر.

بعد أن رأى السلطان نعمة الله عليه باستقرار قدمه في الملك وتمكين الله إياه في البلاد وانقياد الناس لطاعته ولزومهم قانون خدمته ، اشتغل ببذل الجهد والاجتهاد في إقامة قانون للجهاد ، فسير إلى سائر العساكر واستحضرها واجتمعوا إليه بعشترا ، وعرضهم ورتبهم واندفع قاصداً نحو بلاد العدو المخذول ، وكان بلغه أن العدو لما بلغهم أنه قد جمع العساكر اجتمعوا بأسرهم في مرج صفورية بأرض عكا.

فسار في نهار الجمعة ١٧ من ربيع الآخر وكان أبداً يقصد بوقعاته الجمع

لاسيّما أوقات صلاة الجمعة تبرّكاً بدعاء الخطباء على المنابر فربّما كانت أقرب إلى الإجابة فسار في ذلك الوقت على تعبية الحركة وقصدوا نحو المصاف معهم ، ونزل من يومه على بحيرة طبرية عند قرية تسمى الصبيرة ورحل من هناك ونزل غربي طبرية على سطح الجبل بتعبية الحرب منتظراً أن الإفرنج إذا بلغهم ذلك قصدوه فلم يتحركوا ..

فلما رآهم لا يتحركون نزل جريدة على طبرية وترك الأطلاب بحالها قبالة وجه العدو ونازل طبرية وزحف عليها فهجمها وأخذها في ساعة من نهار.

ولما بلغ العدو ما جرى على طبرية لم يأخذهم الصبر دون إجابة الحمية فرحلوا من وقتهم وساعتهم وقصدوا طبرية للدفع عنها فأخبرت الطلائع الإسلامية الأمراء بحركة الإفرنج فسيروا إلى السلطان من عرّفه ذلك فترك على طبرية من يحفظ قلعتها ولحق العسكر هو ومن معه فالتقى العسكران على سطح جبل طبرية الغربي منها.

وحال الليل بين الفئتين فتبايتا على مصاف شاكي السلاح إلى صبيحة الجمعة

، فركب العسكران في صباح الجمعة وتصادما وابتدأ القتال بينهما ، وعملت الجاليشية وتحركت الجيوش الإسلامية والتحم القتال واشتد الأمر وذلك بأرض قرية تسمى اللوبيا وضاق الخناق بالقوم الكافرين ..

فحال بينهما الليل وظلامه وجرى في ذلك اليوم من الوقائع العظيمة والأمور الجسيمة الشي الكثير ، فبات كل فريق في سلاحه ينتظر خصمه في كل ساعة وقد أقعده التعب عن النهوض.

حتى كان صباح السبت الذي تم النصر فيه للمسلمين بحمد الله تعالى ، فحملت الجيوش الإسلامية من الجوانب وحمل القلب من الوسط ، وصاحوا صيحة الرجل الواحد ، فأحاط المسلمون بالصليبيين من كل جانب ، وأطلقوا عليهم السهام ، وحكموا فيهم السيوف ، فولوا مدبرين بعد أن ألقى الله الرعب في قلوب الكافرين.

فانهزمت منهم طائفة فتبعها أبطال المسلمين فلم ينج منها واحد واعتصمت الطائفة الأخرى بتل يقال له تل حطين ، فضايقهم المسلمون على التل وأشعلوا

حواليهم النيران وقتلهم العطش وضاق بهم الأمر حتى كانوا يستسلمون للأسر خوفا من القتل ، فأسرو من أسر وقتل من قتل ، وكان فيمن سلم وأسر من مقدميهم: الأسبتار والداوية والبرنس أرناط وغيرهم.

وأما مقدم الأسبتار والداوية فإن السلطان اختار قتلهم فقتلوا عن بكرة أبيهم.

وأما البرنس أرناط فكان السلطان قد نذر أنه إذا ظفر به قتله ، وذلك أنه كان قد عبر به بالشوبك قافلة من الديار المسلمة من مصر في حالة الصلح الذي كان بينهم وبين المسلمين ، فنزلوا عنده بالأمان فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال لهم: قولوا لمحمدكم يخلصكم !!

فلما بلغ السلطان الملك صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ذلك عنه نذر أنه متى أظفره الله به قتله بنفسه.

وكان "القومص" ذكي القوم وأطغاهم فعندما رأى أمارات الخذلان قد نزلت بأهلدينه هرب في أوائل الأمر قبل اشتداده وأخذ طريقه نحو صور وتبعه جماعة من المسلمين إلاّ أنه نجا وحده.

وبعد أن فتح الله عليه بالنصر والظفر جلس السلطان القائد صلاح الدين فرحاً مسروراً لما أنعم الله به عليه ، فاستحضر الملك جفري وأخاه والبرنس أرناط ، فلما أمكنه الله منه في ذلك اليوم قوى عزمه على قتله وفاءً بنذره ، فشكا الملك العطش فأحضر له قدحاً من شراب فشرب منه وكان على أشدّ حال من العطش ثم ناول بعضها إلى البرنس أرناط ، فقال السلطان للترجمان: قل للملك أنت الذي سقيته وأما أنا فما أسقيه من شرابي ولا أطعمه من طعامي ..

وكان على عادة جميل العرب وكريم أخلاقهم أن الأسير إذا أكل وشرب من ماء لمن أسره أمن بذلك فالمروءة تقتضي أن لا يؤذى ، جرياً على مكارم الأخلاق ، ثم أوقفه على ما قال وقال له قولته العظيمة: " **ها أنا أنتصر لمحمد عليه الصلاة والسلام** " فلم تكن بصمة من بصمات القوة فحسب بل كانت نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا الدين العظيم من هذا الوضيع الكافر بفض الله سبحانه (**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**) المنافقون-٨

وكان قد عرض عليه الإسلام إلاّ أنه لم يفعل ، فضرب السلطان صلاح الدين الأيوبي عنقه بيده وفاءً بنذره ، وبات الناس في تلك الليلة على أتم سرور وأكمل

حبور ترتفع أصواتهم بالحمد لله والشكر له والتكبير والتهليل حتى طلع الصبح ، ثم تسلم صلاح الدين ذلك اليوم قلعة طبرية ، وأكمل بعدها الفتوحات والانتصارات بفضل الله سبحانه.

فسار صلاح الدين طالباً عكا فكان نزوله عليها يوم الأربعاء وقاتل الصليبيين بها بكرة يوم الخميس سنة ٥٨٣هـ فاستولى على ما فيها من الأموال والذخائر والبضائع فأخذها ، واستنقذ من كان بها من أسارى المسلمين كلهم من ضيق الأسر وكانوا زهاء أربعة آلاف أسير وأعطى كل واحد منهم نفقة يصل بها إلى بلده وأهله.

اتجه بعدها السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى القدس فحرره من الأفرنج الغاصبين في وقعته المشهورة عام ٥٨٣هـ بعد الاستيلاء على عسقلان ، توالت بعدها بحمد الله تعالى فتوحاته لتشمل بقية الشام.

عين جالوت: (.. أما أنا فكنت أروح إلى الجنة ، وأما الإسلام فله رب لا يضيّعه ..).

الحمدلله القائل في محكم تنزيله: (**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**) التوبة-١٤

عين جالوت كانت البلسم الشافي والدواء الكافي للمسلمين في ذلك العصر وامتداداً حتى هذا العصر.

عين جالوت المعركة التي كتب الله تعالى بها النصر والعز والتمكين للإسلام والمسلمين ، بعد الذل والهوان والضعف والاستسلام ، وبعد المجازر والفضائع والجرائم والبشائع التي ارتكبها التتار ، التي لا يُظن أنها تصدر من حيوان فكيف من إنسان ؟؟

يقول ابن الأثير رحمه الله عن التتار وبعض الأحداث في ذلك العصر : " لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها ، كارهًا لذكرها ، فأنا أقدِّم إليه رجلاً وأؤخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام

والمسلمين ؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ؟ فياليت أمي لم تلدني ، وياليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا ، إلا أنه حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً ، فنقول: هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها..

عمّت الخلائق ، وخصّت المسلمين ، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يُبتلوا بمثلها لكان صادقاً ؛ فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها..

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببني إسرائيل من القتل ، وتخريب البيت المقدس ، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس ؟! وما بنو إسرائيل إلى من قتلوا ؟! فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل ..

ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج ، وأما الدجال ، فإنه يبقي على من اتبعه ويهلك من خالفه ،

وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال ، وشقوا بطون الحوامل ، وقتلوا الأجنة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها ، وعم ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح ".

بل الفاجعة الأكبر أن ابن الأثير توفي سنة ٦٣٠هـ ، أي أنه لم يشهد فاجعة بغداد وموت الخليفة رفساً وغيره مما حدث في بغداد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والجدير بالذكر أن هؤلاء المغول لم يتمكنوا من أعناق المسلمين ويتسلطوا عليهم إلاّ بعد أن مكن المسلمون الأعداء من أنفسهم وطمّعوهم فيهم ، بالتفرق والتمزق والانقسام والتشتت والحقد والبغض الذي كان سائداً في الأمة الإسلامية ذلك العصر ، والتنازع والاقتتال فيما بينهم من أجل الحكم في البلاد والإمارة على العباد !! (**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**) الأنفال-٤٦ ، بل والأدهى والأمر من ذلك أنهم كانوا يستعينون بالنصارى على بعضهم البعض بل وبالتتار أيضاً في بعض الأحيان ؟؟

وأيضاً الترف والمجون ، والتشبث بالحياة الدنيا ومتاعها الزائل والبعد عن

كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، **قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)** محمد-٧ .

والضعف والهوان والذل والاستسلام ، عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل.. ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن"، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا وكراهية الموت"** رواه أبو داود.

فتجد المسلم يقدم نفسه للمغولي ليقتله أو يستسلم له ليعدمه بلا مقاومة ، يقول ابن الأثير رحمه الله: " كان التتري يدخل القرية بمفرده ، وبها الجمع الكثير من الناس فيبدأ بقتلهم واحداً تلو الآخر ، ولا يتجاسر أحد المسلمين أن يرفع يده نحو الفارس بهجوم أو بدفاع !!

ويقول: أخذ تتري رجلاً من المسلمين ، ولم يكن مع التتري ما يقتله به ،

فقال له: ضع رأسك على الأرض ولا تبرح ، فوضع رأسه على الأرض ، ومضى التتري فأحضر سيفاً ثم قتله !!

ويحكي رجل من المسلمين لابن الأثير فيقول: كنت أنا ومعي سبعة عشر رجلاً في طريق ، فجاءنا فارس واحد من التتر ، وأمرنا أن يقيد بعضنا بعضاً ، فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم ، فقلت لهم: هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب ؟! فقالوا: نخاف ، فقلت: هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله ، فلعل الله يخلصنا ، فوالله ما جسر أحد أن يفعل ذلك ، فأخذت سكيناً وقتلته ، وهربنا فنجونا " فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

وكان من المدن الإسلامية التي تصدت للمغول ورفعت راية الجهاد في سبيل الله مدينة تبريز ، فقد اتجه التتار إلى تبريز وهي مدينة إيرانية كبيرة ، وكان قد رحل عنها صاحبها المخمور أوزبك بن البهلوان ، وتولى قيادة البلاد رجل جديد هو "شمس الدين الطغرائي"، وكان رجلاً مجاهداً يفقه دينه ودنياه، فقام رحمه الله يحمس الناس على الجهاد وعلى إعداد القوة وقوّى قلوبهم على الامتناع ، وحذرهم عاقبة التخاذل والتواني ، فقاموا مع يحصنون بلدهم ، ويصلحون

الأسوار ، ويوسعون في الخندق ، ويجهزون السلاح ، ويضعون المتاريس ، ويرتبون الصفوف.

فسمع التتار بأمر المدينة ، وبحالة العصيان المدني فيها ، وبحالة النفير العام ، فقرروا عدم التعرض لتبريز، وعدم الدخول في قتال مع قوم قد رفعوا راية الجهاد في سبيل الله ، بعد أن ألقى الله الرعب في قلوب التتار على كثرتهم من أهل تبريز على قلتهم.

وأيضاً أهل ميافارقين ، فقد أرسل هولاكو رسولاً عربياً نصرانياً اسمه " قسيس يعقوبي " إلى قائدهم الكامل محمد فقتله ، واهتم هولاكو بالموضوع فكانت هذه أول صحوة في المنطقة ، فجهز هولاكو جيشاً كبيراً ، ووضع على رأسه ابنه " أشموط بن هولاكو " ، وتوجه الجيش إلى ميافارقين مباشرة ، وتوجه أشموط بن هولاكوبجيشه الجرار إلى أهم معاقل إمارة ميافارقين ، وهو الحصن المنيع الواقع في مدينة ميافارقين نفسها ، وكان الكامل محمد قد جمع جيشه كله في هذه القلعة ؛ وجاء جيش التتار، وحاصر ميافارقين حصاراً شديداً ، وجاءت جيوش مملكتي أرمينيا والكرج لتحاصر ميافارقين من الناحية الشرقية.

وصمدت المدينة الباسلة ، وظهرت فيها مقاومة ضارية ، وقام الأمير الكامل محمد في شجاعة نادرة يشجع شعبه على الثبات والجهاد. وفي هذه الأثناء لم يأتيها أي مدد من الأقاليم الإسلامية المجاورة لها !!؟

وكان ذلك بعد اجتياح بغداد بأربعة أشهر ، وبعد حصار استمر عاماً ونصف العام ، سقطت مدينة ميافارقين ، وقتل كل من كان فيها ودمرت وعذب قائدها محمد رحمه الله تعالى على يد هولاكو .. لقد كان الموت واحد إلاّ أن من يموت في سبيل الله ليس كمن يموت ذليلاً لأعداء الله فالمقبل ليس كالمدبر !!

نعم خسروا هنا إلاّ أنهم قد فازوا بإذن الله سبحانه هناك في الجنان وبالمقام الطيب الخالد مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفقياً ، والنصر والهزيمة من سنن الله الكونية في هذه الحياة ، فهنيئاً لهم الشهادة.

أما بغداد فقد أعطى التتار الأمان للخليفة المستعصم بالله على أن يستسلم ويسلم بغداد بلا شروط أو قيود ، ويلقون السلاح ويزيلون الحصن والقلاع ويفتحون الباب للجيش المغولي ؟؟

وبعد النصيحة التي قدمها له وزيره " مؤيد الدين العلقمي الشيعي" ؟؟

والبطريـرك النصـراني " ماكيكـا " ؟؟ ، وكانـا خبيثـين متعـاونين مـع التتـار ، قـام بالاستسلام ظناً منه أنه سيبقى في الحكم كما وعده زعيم التتار هولاكو وسيزوجه من ابنته ليكون تحت ناظري القائد المغولي هولاكو ، وحتى تكون بغداد أرضاً آمنة سعيدة هادئة رغيدة ، تحت حكم الوحوش الأليفة والسباع الرحيمة !؟

وبعد أن قام الخليفة بالاستسلام أمره هولاكو أن يحضر إليه ولكن ليس وحده بل عليه أن يحضر معه كبار رجال دولته ووزرائه وفقهاء المدينة وعلماء الإسلام ، وأمراء الناس والأعيان ، لتصبح مفاوضات الصلح التي سيجريها مع الخليفة ملزمة ومنصفة للجميع كما زعم بذلك القائد المخلص هولاكو ؟؟!!

بعد ذلك قام هولاكو بقتلهم جميعاً ، أن أبقى على الخليفة وقيده مع بعض رؤسه ووزراءه المهمين الذين سيستفاد منهم في العثور على أماكن الأموال والذهب والمجوهرات والممتلكات ، وإصدار الأوامر للمسلمين بالتخلي عن السلاح والجهاد ، والاستسلام للمغول وفتح الحصون والقلاع والأبواب أمامهم لأن هذا سيكون أسلم وأحقـــن لـــدماء والأمـــوال والأعـــراض أمـــام جـــيش جـــرار

كالتتار !!

وبعد أن ألقى سكان بغداد السلاح ، وانتهت المقاومة ، دخل الجنود التتار بغداد فقتل التتار كل من وجدوه من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ ، وهتكوا أعراض النساء ، وشقوا بطون الحوامل ، وقتلوا الأجنة ، ونهبوا الأموال ، وأحرقوا الكتب ، وهدموا البيوت .

وكان الناس يجتمعون في البيوت ويغلقون عليهم الأبواب ، فيفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ، فإذا دخلوا عليهم هربوا إلى السطوح ، فقتلوهم حتى جرت الميازيب بالدماء .

ثم أمر هولاكو بقتل الخليفة وذلك برفسه حتى الموت بعد أن جعله يشاهد بأم عينه سقوط بغداد وقتل أولاده وسبي نسائه وحرق أرضه وتدمير شعبه ، فقام الجنود بذلك حتى تهشمت عظامه ومات .

وامتلأت بغداد بالجثث حتى صارت كالتلال في الطرقات ، وتعفنت الأشلاء ، وتلوث الهواء فانتشر الطاعون في بغداد فمات منه خلق كثير ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

وقد كان تصدى لهم في هجماتهم السابقة قبل الوصول لبغداد في غزنة جلال الدين بن خوارزم شاه فهزمهم وأوقف زحفهم ..

إلاّ أن التتار بعد أن فرغ من خراسان وخوارزم لم ينسوا هزيمتهم في غزنة على يد جلال الدين بن خوارزم شاة ، فجهزوا جيشاً كبيراً وساروا مرة أخرى إلى غزنة فخرج إليهم المسلمون مع جلال الدين ، واقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام ، ثم أنزل الله نصره ، فهُزم التتار وقتل منهم الكثير ، واستنقذ المسلمون منهم بعض الأسرى ، ثم أرسل جلال الدين إلى جنكيز خان رسالة تحدي يقول فيها :**في أي موضع تريد أن تكون الحرب حتى نأتي إليه** .

فجهز جنكيز خان جيشاً أكثر من الأول وتقابل الجيشان في كابل فانهزم التتار مرة أخرى وقتل منهم خلق كثير ، إلاّ أنه بعد انتهاء المعركة وقعت الفتنة بين الأمير سيف الدين وبين أمير آخر يقال له ملك خان بسبب الغنائم ، فاقتتلت الطائفتان وقتل أخو سيف الدين فغضب فانسحب من الجيش وتبعه ثلاثون ألفاً من أصحابه ، فسار إليه جلال الدين بنفسه واستعطفه ، وذكره الجهاد وخوفه من الله وبكى بين يديه ، لكنه لم يرجع !!

وهذا ما قد نبه عنه المصطفي رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها** ..".

عند ذلك شعر جلال الدين بضعف الجيش فسار نحو السند ، ثم علم جنكيزخان بتفرق المسلمين ، فانطلق بجيشه وراءهم ، حتى أدركهم عند نهر السند ، فتقاتل الجيشان قتالاً شديداً ثلاثة أيام وقتل منهما خلق كثير ، ثم فر جيش المسلمين عبر نهر السند ، وعاد التتار إلى غزنة فاستولوا عليها.

وبعد تدمير بغداد وبعض المدن المجاورة لها والقضاء على معالم الحياة فيها توجه جيش التتار الجرار إلى الشام ومصر للاستيلاء عليهما والعبث بهما لينهوا معالم الإسلام والحضارة من الوجود كما يتصورون وكما زين لهم ذلك النصارى بعد هزائمهم المستمرة مع المسلمين ، وكان التتار قد استولوا على النصف الشرقي من البقاع الإسلامية للأمة الإسلامية ، وضموا معظم الأقاليم الإسلامية في آسيا إلى دولتهم.

فوصلوا حمص وحاصروها ٦٥٨ هـ ، وبعد سبعة أيام من الحصار أعطاهم

هولاكو الأمان ، فلما دخل هو وجنده البلد غدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وفعلوا فيها ما فعلوه بغداد.

ثم وصل التتار إلى دمشق وحاصروها ، ثم استولوا عليها وسلموها لأحد أمرائهم اسمه " ابل سيان " وكان يميل إلى دين النصارى ، فاجتمع بنصارى دمشق وعظم شأنهم ، فرفعوا الصليب ، وتسلطوا على المسلمين.

وبعد سقوط دمشق أرسل الطاغية هولاكو رسالة تهديد ووعيد إلى المظفر قطز ، فعقد قطز اجتماعاً عاجلاً استشار فيه أمراء المماليك وقال لهم: إن القوم لا دين ولا أيمان لهم يجب قتالهم والوقوف أمامهم.

وفي هذه الأثناء قام المظفر قطز بعمل عظيم فأصدر قراراً بالعفو عن المماليك الصالحية الذين هربوا إلى الشام ، وأرسل إلى بيبرس وتودد إليه ، فقدم بيبرس واستقبله قطز استقبالاً حافلاً ، وأنزله بدار الوزارة ، وبدأت جموع المماليك الصالحية تتوافد إلى مصر ، وبهذا اتحدت كلمة المماليك ، والتأم شملهم ، على يد المظفر قطز رحمه الله.

وبعد المداولات انتهى الاجتماع بقرار الحرب ضد التتار .

فأحضر قطز رسل هولامو وأمر بتوسيطهم أي بضرب الواحد منهم بالسيف في وسطه فيقسم قسمين .

ثم بدأ قطز يحشد الحشود ويجهز الجيش ، ويستعين بالعلماء في الحث على الجهاد والنفرة في سبيل الله ، وكان على رأس هؤلاء العلماء الإمام العز بن عبد السلام .

كانت خطة المظفر قطز أن يبادر التتار قبل أن يبادروه ، لكن بعض الأمراء كانوا لا يرون الخروج إلى الشام .

فتجهز للخروج واختار معه بعض الأمراء الذين يوافقونه على الخروج إلى الشام ، وواعد بقية الأمراء في الصالحية (بلدة في مصر شرق دلتا النيل) وكان خروجه في رمضان أو آخر شعبان عام ٦٥٨هـ ومعه أربعون ألفاً من المسلمين.

وبعد أن وصل إلى الصالحية وتجمع الأمراء خطبهم خطبة عظيمة قال فيها: " يا أمراء المسلمين ، لكم زمان تأكلون بيت المال وأنتم للغَزاة كارهون ! وأنا

متوجه إلى الله ورسوله ، فمن اختار منكم الجهاد يصحبْني ، ومن لم يختر ذلك يرجعْ إلى بيته فإن الله مطلع عليه " .

وقال قولته الرائعة وبصم بصمته القوية فكانت : " **أنا ألقى التتار بنفسي**" ، ثم تكلم الأمراء الذين معه وأيدوه ، فوافق الآخرون وساروا جميعاً إلى الشام .

جعل قطز على طليعة الجيش بيبرس ، وساروا حتى وصلوا إلى غزة ، ثم سلكوا طريق الساحل حتى بلغوا عكا ، وكانت بيد الفرنج ، وكان هولاكو بعد استيلائه على دمشق قد بلغه نبأ وفاة أخيه مانغو ملكِ التتار ، فغادر الشام متوجهاً إلى الصين لحضور اجتماع رؤساء التتار لانتخاب الملك الجديد ، وعَيَّن مكانه أحد الأمراء الكبار وهو "كتبغا نوين ".

وجاءت الأخبار إلى كتبغا نوين بخروج الجيش المصري إلى الشام فتوجه بجيشه إليهم ، وسار الفريقان حتى التقيا في عين جالوت في الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٨هـ .

ولما تراءى الجمعان ، ورأى قطز كثرة التتار أمر جيشه أن لا يبدؤوا القتال

حتى تزول الشمس ، ويدعوَ لهم الخطباء والناس في صلاة الجمعة .

وبدأ القتال فهجمت ميمنة التتار على ميسرة المسلمين ، فانكسرت الميسرة كسرة شديدة ، وبدأ التتار يخترقون صفوف المسلمين ، فلما رأى قطز هذا الموقف تقدم بقوات القلب التي كانت بقيادته ، وكانوا من المتطوعين المحتسبين ، فأحاطوا بميمنة التتار قبل أن تحيط بجيش المسلمين.

فقام قطز بترغيب جنده على الفداء والتضحية والشهادة ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، وقاتل قطز حتى قتل جواده ، فوقف ثابتاً على الأرض في موضعه في قلب الجيش فرآه أحد الأمراء فنزل عن فرسه ليركب عليه السلطان ، فقال: ما كنت لأحرم المسلمين نفعك ، فحلف عليه أن يركب ، فرفض قطز الركوب حتى جاؤوا له بفرس آخر. ثم لامه بعض الأمراء ، وقالوا: لو أن بعض الأعداء رآك لقتلك وهلك الإسلام بسببك !! ، فقال لهم قولته الشهيره وبصمته القوية التي سجلها له التاريخ بكل فخر وإجلال: " **أما أنا فكنت أروح إلى الجنة ، وأما الإسلام فله رب لا يضيّعه** ".

واشتد القتال ، وحمي النزال ، وأزهقت النفوس ، وتطايرت الرؤوس ، وتقدم

قطز بنفسه أمام الأمراء والجيش ورمى خوذته على الأرض فصاح بأعلى صوته (**واااا إسلاماه**) ، واندفع نحو نيران التتار ، كالسيل الجرار .

ورأى جنود الإسلام قائدهم أمامهم فالتفوا حوله ، واستبسلوا في القتال ، وانقضوا على التتار فخلخلوا صفوفهم ، وكسروهم كسرة عظيمة ، ثم التقى الجيشان مرة أخرى عند بيسان ، ونزل الطاغية " كتبغا نوين " بنفسه إلى المعركة ، فهزمه الله ، فقتل المسلمون منهم جمعاً كثيراً ، وشفي الله صدور قوم مؤمنين والحمد لله رب العالمين .

وبعدما اطمأن قطز إلى نصر الله ، ترجل عن فرسه ، ومرغ وجهه في التراب تواضعًا لله ، وسجد لله شكرًا على هذا النصر المبين .

وكان المظفر قطز يريد أن يعرف مصير الطاغية كتبغا نوين ، فأحضر ولده بين يديه بعد أن أسر وسأله: أهرب أبوك ؟ ، فقال : لا ، إن أبي لا يهرب .

ثم بحثوا عنه فوجوده بين القتلى ، فلما أحضروه ورآه ولده صرخ وبكى ، فتحقق قطز من موته ، فخر ساجداً لله وقال: الآن أنام طيباً .

ثم انطلق بيبرس ومجموعة من الأمراء وراء التتار الذين فروا من المعركة حتى أدركوهم في حلب ، وبدأ المسلمون بتطهير البلاد من التتار.

وفي دمشق وصلت البشارة بالنصر فتبادر المسلمون إلى مواجهة من بقي من التتار في دمشق ، يقتلونهم ويطلقون أسرى المسلمين الذين كانوا في أيديهم .

فبدأوا الإصلاح مع الخونة النصارى ، الذي وقفوا مع التتار ، فأحرق المسلمون الكنسية التي أَخرج منها النصارى الصليب ، وقتلوا جماعة من النصارى ، واضطربت الأمور في دمشق ولم يستتب الأمن فيها إلا بدخول قطز إليها في أواخر رمضان .

وطارت الأخبار بانتصار المسلمين وانكسار التتار ، فابتهج المسلمون في الأمصار والحمد لله رب العالمين ، وبدأ التتار يفرون من بلاد الشام خوفاً من انتقام المسلمين .

وبعد أن تم بحمد الله سبحانه للمظفر قطز النصر في معركة عين جالوت

الحاسمة والسيطرة على الشام ، واستقرت الأمور ، أعاد بعض الملوك الأيوبيين إلى ممالكهم ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق بالولاء ، ثم عاد منصوراً إلى مصر .

بيبرس : (.. أعلموه أني من ورائه بالمطالبة ، حتى أنتزع منه جميع البلاد التي استحوذ عليها ..).

لم تكن عين جالوت المعركة الوحيد الفاصلة بين المسلمين والتتار ، بل عاود التتار بعدها الغزو مرة أخرى على بلاد المسلمين.

بعد أن تولى نجم الدين الظاهر بيبرس البندقداري الملك في مصر بعد الملك المقدام سيف الدين قطز رحمه الله تعالى ، قام بيبرس بإكمال ما بدأه الملك المظفر سيف الدين قطز فقام بإبطال المظالم ، وإصلاح القضاء ، وجلس بنفسه أمام القاضي في إحدى القضايا ، وقام بإراقة الخمور وتوعد من يعصرها بالقتل ، ثم تتبع الأمراء الذين خططوا للثورة فقمعهم ، وأخمد ثورتهم في مهدها ..

وقام بيبرس أيضاً بحملاته ضد الصليبيين عام ٦٦٣هـ فخرج بجيشه إلى الساحل الشامي وحاصر الإفرنج في قيسارية ففتحها ، ثم فتح أرسوف ، وفي العام التالي ٦٦٤هـ فتح صَفَد واستولى على ٢٠ حصناً من معاقل الفرنج ، وفي عام ٦٦٦هـ استولى على يافا وحصن الشقيف ، وحاصر أنطاكية وكانت مدينة

عظيمة منيعة ففتحها في رمضان ، وفي عام ٦٦٩هـ سار إلى عكا فحاصرها فسأله أهلها الأمان فأعطاهم ودخلها منصوراً .

وفي نفس العام جاءت الحملة الصليبية الثامنة بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع فاتجهت إلى تونس فمرض قائدها لويس التاسع ثم مات وانتهت الحملة ، وكفي الله المؤمنين القتال ، وكانت هناك حملة في عكة جاءت بعدها.

وفي عام ٦٦٣هـ هلك الطاغية هولاكو وتولى بعده ابنه " أبغا " الملك ، فقام بالاتصال بالصليبيين ومن ثم بدأ التحالف الصليبي التتري ضد المسلمين.

وعاد التتار مرة أخرى لغزو المسلمين واحتلال بلاد المسلمين ، حيث أنهم لم يكونوا قد اتعظوا من عين جالوت والإبادة التي حصلت لهم فيها والهزائم التي ذاقوها بحول الله تعالى.

وبعد خمس سنوات من تولي أبغا بن هولاكو المغولي الحكم أرسل رسالة تهديد إلى الملك بيبرس يقول فيها: " أنت مملوك بعت بسيواس فكيف يصلح لك أن تخالف ملوك الأرض ؟ واعلم أنك لو صعدت إلى السماء أو هبطت الأرض ما تخلصت مني " .

فقام بيبرس بالرد على رسل أبغا بكل هدوء وعزة نفس وثقة فكانت بصمته التي سجلها له التاريخ: " **أعلموه أني من ورائه بالمطالبة ، حتى أنتزع منه جميع البلاد التي استحوذ عليها** " .

فقام المغول بتجهيز جيوشهم المتحالفة وكانت مكونة من خمسة عشر ألف مقاتل من التتار ومثلهم من الروم ، وساروا إلى بلدة البيرة .

فأسرع بيبرس بالخروج من مصر بعد أن أنفق ستمائة ألف دينار لتجهيز الجيش ، ونزل جيش التحالف على أبواب البيرة ونصبوا المنجنيقات ، فكان إذا أظلم عليهم الليل خرج أهل البيرة ، فأحرقوا المنجنيقات التي نصبها التتار ونهبوهم ، ثم عادوا إلى بيوتهم سالمين ، وبقي العدو على أبواب البيرة عشرة آيام ، مخذولين مقبوحين لا يستطيعون شيئاً ، ولما وصلت الإخبار لبيبرس عاد إلى مصر .

وفي العام التالي قام المغول والروم بالتجمع من جديد وإعداد العدة للغزو والاستحلال ، فجاءت الأخبار إلى الظاهر بيبرس فخرج بجيشه الجرار إلى الشام ، فكان اللقاء.

فالتقى الجيشان في صحراء "الإبلستين" وكان عدد التتار أحد عشر ألف مقاتل ، ومعهم جمع من الروم.

وبدأ القتال بين الجيشان ، فحملت التتار على ميمنة المسلمين ، فتقدم نجم الدين بيبرس بنفسه إلى الميمنة ، ثم التفت فإذا بميسرة جيشه تكاد أن تنكسر ، فأرسل إليها بعض الأمراء لتقويتها ، فنجح في ذلك ، وثبت المسلمون وأبدوا شجاعة كبيرة وتلاحماً عظيماً ، وبعد قتال شديد أنزل الله نصره على المؤمنين ، فقتلوا جيش التتار ودمروهم ، وفر الباقون منهم إلى قيسارية .

وبعد انتهاء المعركة جاءت أخبار الهزيمة إلى زعيمهم أبغا فجن جنونه من هول ما سمعه ومن فاجعة الهزيمة التي نالها هو وجنوده بعد أن كان قد وثق بالنصر والتمكين على رقاب المسلمين !!

فرد الله كيده وكيد الروم في نحورهم وجعلها بينهم ، وأسرع بنفسه ووقف على ساحة المعركة ، فرأى القتلى من التتار ، ولم يجد من حلفائه الروم قتيلاً واحداً ، فاشتد غضبه وعلم خيانة محالفيه الروم فهجم على أهل قيسارية ، وقَتل

من الروم مائتي ألف إنسان.

فتوفي بعدها الظاهر البطل نجم الدين بيبرس رحمه الله ، تولى الحكم بعده ابنه الملك سعيد الذي خلع ، فاضطرب حكم المماليك في مصر حتى استقر لأسرة المنصور قلاوون الذي تولى الحكم عام ٦٧٨هـ .

شقحب: (.. ويحلف لهم أنهم سينصرون ، فيقولون له : قل إن شاء الله . فيقولها تحقيقاً لا تعليقاً ..).

بعد تولي قلاوون الحكم عام ٦٧٨هـ كان هناك معارضة شديدة من الأمير سنقر الأشقر صاحب دمشق ، وحدث الاختلاف والتنازع فيما بينهم ، فقام قلاوون بتوجيه جيش مصري إلى الشام ، فتلاقى هناك مع الجيش الشامي ، وتمكن الجيش المصري من هزيمة الجيش الشامي ودخلوا دمشق .

وصلت أخبار التفرق والتنازع بين المسلمين إلى التتار فقاموا بالهجوم على حلب وقتلوا كثيراً من أهلها ، وكان التتار يظنون أن جيش سنقر الدمشقي بعد أن هزمه المصريون سيتطلب العون من التتار ، وبذلك يسهّل لهم الاستيلاء على بلاد المسلمين والعبث فيها ، لكن المنصور قلاوون خيب ظنهم وأفسد حلمهم ، فمن لم يتعظ بما مضى من الوقائع المدمية والفجائع المؤذية في تاريخ المسلمين فبمن يتعظ ؟؟

فكان عبقرياً حكيماً ، أرسل إلى صاحب الشام سنقر وطلب منه الصلح والاتحاد ضد التتار حفاظاً على أرواح المسلمين ، فهدى الله سنقر وكتب إلى

قلاوون بالسمع والطاعة ، فلما علم التتار بهذا الاتفاق عادوا إلى بلادهم خاسئين.

وفي العام التالي عاد التتار مرة أخرى في جيش كبير قوامه مائةُ ألف مقاتل ، فاستعد المسلمين وجهزوا جيشاً كان قرابة الخمسين ألف مقاتل ، فالتقى الجيشان شمال حمص ، وبدأ القتال بينهم ، فانكسرت ميسرة الجيش المسلم ، وانهزم كثير من المسلمين وفر بعضهم إلى حمص ، فقام التتار بملاحقتهم ، فحدثت فيهم مقتلة عظيمة.

وبقي القائد قلاوون في ميدان المعركة ومعه جماعة من المقاتلين فثبت ثباتاً عظيماً جداً ، فرأى الأمراء ثباته فاجتمعوا حوله ، وحملوا على التتار عدة حملات صادقة ، وقاموا بشجاعة نادرة بتدمير جيش التتار حتى انكسر لهم جيش التتار ، وقَتل منهم المسلمون جمعاً كثيراً ، وبدؤوا يلاحقون المنهزمين .

فعاد التتار الذين لاحقوا المنهزمين من المسلمين ، فوجودا جيشهم قد هزم وجيش المسلمين وراءه ، ثم رأوا السلطان قلاوون ثابت في مكانه ليس معه إلا

ألف فارس فانتهزوا الفرصة وهجموا عليه ، فثبت لهم وقاتلهم بقوة وثقة بنصر الله تعالى حتى هزمهم ودمر جيشهم ، ولاحقهم حتى قتل أكثرهم.

وبعد أن قام قلاوون بقمع التتار تفرغ لتصفية النصارى من الشام ففتح حصن المرقب وكان من أمنع الحصون وأضرها على المسلمين .

وقام بفتح طرابلس التي استعصت وبقيت لدى الأفرنج ١٨٥عاماً. ثم توفي بعدها رحمه الله تعالى ، وتولى بعده ابنه الأشرف خليل الحكم.

وسار الأشرف بسيرة والده فحاصر عكا عام ٦٩٠هـ بعد أن قتل أهلُها بعض تجار المسلمين ونهبوهم ، وأكمل تطهير مدن الساحل كلها ، وبهذا انتهى وجود النصارى في عام ٦٩٠هـ من بلاد الشام ، ولم يبق لهم إلا جزيرة " أرواد " التي قد فتحها المسلمون سنة ٧٠٢ هـ .

ثم تولى الحكم بعد الأشرف أخيه الناصر محمد بن قلاوون عام ٦٩٨هـ ، حيث قام التتار في عهده بغزو الشام من جديد.

ففي عام ٦٩٩هـ وصلت الأخبار أن التتار يعدون العدة لغزو الشام ، فخاف الناس ، وغلت المواصلات ، ثم خرج الناصر بجيشه من مصر إلى الشام ، ففرح الناس ، ودخل الناصر دمشق ، ثم خرج والتقى بالتتار في وادي الخزندار ، فهُزم المسلمون ، وهرب الناصر ، وقُتل جماعة من الأمراء ورجعت العساكر إلى مصر .

فسار التتار إلى دمشق ، فاجتمع الأعيان وكان معهم الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقرروا الذهاب إلى قازان ملك التتار وكان قازان بوذياً ثم أسلم وأسلم معه نحو ٧٠ ألف من التتار ، ليطلبوا منه الأمان لأهل دمشق ، فكلمه ابن تيمية كلاماً شديداً نفع الله به المسلمين.

بعد أن بدأ بعض التتار بأعمال القتل والنهب والسبي. وصلت الأخبار بقدوم الجيوش المصرية إلى الشام ، فخرج بولاي ومن معه من التتار من دمشق وبقيت دمشق بلا جند ولا حرس ، وكان قازان قد عاد إلى العراق وترك نائبه بولاي في الشام مع ستين ألف مقاتل ، فنودي في أهلها أن يخرجوا بأسلحتهم ويبيتون على الأسوار والأبواب يحرسون البلد.

وكان ابن تيمية رحمه الله تعالى يدور على الأسوار كل ليلة ، يحرض الناس على الصبر والقتال ، ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط.

ولما عادت الحياة إلى دمشق دار ابن تيمية وأصحابه على الخانات فكسروا أنية الخمر وأباريق ، ثم خرج ابن تيمية مع الأفرم نائبِ دمشق إلى بلاد جبيل وكسروان لتأديبهم على دعمهم التتار وإغارتهم على المسلمين ، فخرج رؤساؤهم إلى ابن تيمية فأظهروا الطاعة والندم ورد كل ما أخذوا .

ثم عاد الأفرم إلى دمشق وصدرت الأوامر أن يعلق الناس الأسلحة بالدكاكين ، وأن يتعلموا الرمي ، فبنيت الإماجات في دمشق ، وأمر الفقهاء أن يتعلموا الرمي استعداداً لأي ظرف طارىء.

وفي عام ٧٠٠ هـ جاءت الأخبار بعودة التتار إلى بلاد الشام فاضطرب الناس وزادات أجرة النقل ، وبيعت الأمتعة والثياب بأرخص الأثمان .
وجلس ابن تيمية في مجلسه في الجامع وحرض المؤمنين على القتال وبذل الأموال ، ونهاهم عن الفرار ، فسكن الناس وقويت نفوسهم وهدأت الأوضاع.

وبعد أن تحرك الجيش المصري إلى الشام ، واستعد المسلمون للحرب ، جاءت الأخبار بانسحاب التتار إلى العراق ورد الله كيد الفجار.

إلاّ أنه بعد سنتين في شهر رجب عام ٧٠٢هـ دخل التتار بلاد الشام ، فاضطرب الناس ، واشتد خوفهم ، وقنتوا في الصلوات ، وكانت أولى المواجهات ، من التتار بسبعة آلاف مقاتل ، تصدى لها ألف وخمسمائة رجل من أبطال الشام ، فنصر الله جنوده وأيد المسلمين بنصره ، فقتلوا خلقاً من التتار ، وآسروا آخرين.

وبعد شهر تحركت القوات المصرية ، ووصلت الأخبار بخروج الجيش المصري إلى الشام فاطمأن الناس وقويت قلوبهم.

ومع اقتراب جيش التتار ، انسحب الجيشان الحلبي والحموي إلى حمص ، ثم خافوا أن يباغتهم التتار فنزلوا إلى مرج الصُّفَّر.

ووصل التتار إلى حمص ، ثم ساروا إلى بعلبك ، واقتربوا من دمشق ، فاشتد خوف الناس ، وانتشرت الإشاعات والأراجيف ، فكان لشيخ الإسلام ابن تيمية

دور كبير في تهدئة النفوس والحفاظ على الاستقرار الداخلي في البلد .

ثم اجتمع الأمراء والعلماء في دمشق فتحالفوا على الجهاد ولقاء العدو ، **وكان شيخ الإسلام يطمئن الناس و يحلف لهم أنهم سينصرون ، فيقولون له : قل إن شاء الله . فيقولها تحقيقاً لا تعليقاً** ، فكانت بصمة من بصمات القوة والثبات والثقة بالله وبنصره وعزه وتمكينه في أي وقت وأي مكان ، افتقر إليها بعضاً من ضعاف النفوس ، فإذا لم ينتصر دين الله سبحانه فمن ؟؟

ثم شكك البعض في شرعية قتال التتار لأنهم يظهرون الإسلام ، إلاّ أن ابن تيمية انبرى لهم ، وأصدر فتاويه المشهورة في وجوب قتال التتار ، وفند الشبه التي أثيرت ، وكان يقول للناس : " إذا رأيتموني في ذلك الجانب أي مع العدو ، وعلى رأسي مصحف فاقتلوني " فتشجع الناس للقتال ، وقويت قلوبهم.

وفي أواخر شعبان ، خرج الجيش الشامي من دمشق وعسكر في الكسوة ، وخرج ابن تيمية مع أصحابه ليشارك في القتال ، فظن بعض الناس أنه يريد الهرب فقالوا : تمنعنا من الهرب وتهرب الآن من البلد ؟ ومضى الشيخ رحمه الله إلى المعركة ، ولم يرد عليهم.

والتقى الجيشان الجيش الشامي والجيش المصري بقيادة السلطان الناصر محمد بن قلاوون والخليفة المستكفي بالله في مرج الصُّفَّر واتحدوا وتحالفوا ، فقويت شوكتهم.

ولما علم التتار باجتماع الجيوش الإسلامية ، انحرفوا عن دمشق ، واتجهوا إليهم ، والتقى الجيشان في موضع يقال له " شَقْحَب " وهو الطرف الشمالي من مرج الصفر فكانت المعركة تسمى معركة مرج الصفر أو معركة شقحب .

ولما اقترب التتار ، التفت ابن تيمية إلى أحد أمراء الشام ، وقال : يا فلان أوقفني موقف الموت .

يقول الأمير: فنقلته إلى مقابلة العدو ، وهم منحدرون كالسيل ، تلوح أسلحتهم تحت الغبار ، ثم قلت: ياسيدي هذا موقف الموت ، وهذا العدو قد أقبل تحت الغبرة ، فرفع الشيخ طرفه إلى السماء ، وأشخص بصره ، وحرك شفتيه طويلاً يدعو ربه ، ثم التحم بالتتار.

وتقابل الفريقان ، واشتد القتال ، واشتعل النزال ، واستبسل الأبطال ، ففر

التتار إلى الجبال ، ثم أظلم الليل ، وحاصر المسلمون الجبال ، وقد امتلأت قلوب التتار بالرعب.

يقول الأمير الشامي : وإذا أنا بالشيخ ابن تيمية وأخيه يصيحان بأعلى صوتهما تحريضاً للقتال ، فقتل المسلمون التتار وأسروا منهم ، ولم يسلم منهم إلا القليل ، فهربوا والمسلمون وراءهم حتى بلغوا نهر الفرات ، فعبره بعضهم فهلكوا ، وسار آخرون على الشاطيء فانقطعوا وأسروا .

وفي يوم الإثنين الرابع من رمضان ، دخل ابن تيمية وأصحابه دمشق فاستقبله الناس وفرحوا به ، ودعوا له ، وهنؤوه بما فتح الله على يديه من الخير للمسلمين .
وبهذه المعركة الحاسمة انحصر التتار ، واندفع شرهم عن بلاد الإسلام ، وتم بحمد الله سبحانه الظفر والنصر للإسلام والمسلمين ، وهذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله.

نيكوبوليس: (.. أني أجيز لك أن لاتحفظ هذا اليمين فأنت في حل من الرجوع لمحاربتي إذ لا شيء أحب إليّ من محاربة جميع مسيحي أوروبا والانتصار عليهم ..).

بعد أن تم السيطرة على بلغاريا في عهد الخلافة العثمانية عام ٧٩٧هـ بقيادة السلطان بايزيد الأول ، فقدت البلاد استقلالها السياسي ، لأن أصبحت خاضعة للدولة العثمانية ، وبذلك كان لسقوط بلغاريا في قبضة الدولة العثمانية صدى هائل في أوروبا وانتشر الرعب والفزع والخوف أنحاءها وتحركت القوى المسيحية الصليبية للقضاء على الوجود الإسلامي.

فقام "سيجسموند" ملك المجر والبابا "بونيفاس التاسع" بالدعوة لتكتل أوروبي صليبي مسيحي ضد الدولة الإسلامية في عهد الخلافة العثمانية وكان ذلك التكتل من أكبر التكتلات التي واجهتها الدولة العثمانية من حيث عدد الدول التي اشتركت فيه في القرن الرابع عشر ، وبلغ العدد الإجمالي لهذه الحملة الصليبية ١٢٠,٠٠٠ مقاتل من مختلف الجنسيات.

وتحركت الحملة عام ٨٠٠هـ إلى المجر ، ولكن زعمائها وقادتها اختلفوا مع

سيجسموند قبل بدء المعركة ، فقد كان سيجسموند يرى الانتظار حتى يبدأ العثمانيون الهجوم ، إلاّ أن قواد الحملة شرعوا بالهجوم ، وانحدروا مع نهر الدانوب حتى وصلوا الى " نيكوبوليس " شمال البلقان وبدؤوا في حصارها وكانت الغلبة لهم في بادئ الأمر ، إلا أن بايزيد ظهر فجأة ومعه حوالي مئة ألف جندي ، فثبتوا ثباتاً شديداً وقاتلوا بشجاعة ، فانهزم معظم النصارى ولاذوا بالفرار والهروب وقتل وأسر عدد من قادتهم. وخرج العثمانيون من معركة نيكوبوليس بغنائم كثيرة وفيرة واستولوا على ذخائر العدو.

ومن حماس السلطان بايزيد الأول وطموحه أنه قال: " **سأفتح إيطاليا وسأطعم حصاني الشعير في مذبح القديس بطرس برومة** ".

وإن لم يكتب له ذلك النصر أو غيره إلاّ أنها كانت همة عالية ، وبصمة من بصمات القوة والعزيمة لنشر الإسلام دين الرحمة والأمان في كل بقعة من الأرض.

ووقع كثير من اشراف فرنسا في الأسر منهم الكونت " دي نيفر " نفسه ، فقبل السلطان بايزيد منه دفع الفدية وأطلق سراح الأسرى كما هي سماحة هذا

الدين العظيم حتى مع الأعداء المقبوحين.

وقد كان الكونت دي ينفر قد ألزم بالقسم على أن لا يعود لمحاربت السلطان بايزيد الأول ، ربما كان صدقاً منه والأغلب هو الخيانة كما هو معتاد من الكفرة والضالين ، إلاّ أن السلطان القائد بايزيد رد عليه رداً قوياًبكل ثقة وعزة نفس وهكذا يجب أن يكون قادة الأمم الإسلامية في كل زما ومكان ، وقال كلمته الشهيرة التي سجلها له التاريخ : (**أني أجيز لك أن لاتحفظ هذا اليمين فأنت في حل من الرجوع لمحاربتي إذ لاشيء أحب إليّ من محاربة جميع مسيحي أوروبا والانتصار عليهم**).

أما سجسموند ملك المجر الذي بلغ به الغرور بالاعتداد بجيشه وقوته وكثرته والذي قال: لو انقضت السماء عليائها لأمسكناها بحرابنا فقد ولى هارباً خائباً ناكس الرأس والوجه هو ورئيس فرسان رودس ، فلما وصلا شاطئ البحر الأسود وجد هناك الأسطول النصراني فوثبا على إحدى السفن وفرت بهما مسرعة لا تلوي على شيء وتضاءلت مكانة المجر في عيون المجتمع الأوروبي بعد معركة نيكوبوليس وتبخر ما كان يحيط بها من هيبة ورهبة.

لقد تم بحمد الله ذلك النصر والفتح المظفر الذي كان له أثر على بايزيد والمجتمع الإسلامي ، فقام بايزيد ببعث رسائل إلى كبار حكام الشرق الإسلامي يبشرهم بالانتصار العظيم على النصارى ، واصطحب الرسل معهم إلى بلاطات ملوك المسلمين مجموعة منتقاة من الأسرى المسيحين باعتبارهم هدايا من المنتصر ودليلاً مادياً على انتصاره.

واتخذ بايزيد لقب " سلطان الروم " كدليل على وراثته لدولة السلاجقة وسيطرته على كل شبه جزيرة الأناضول.

سهول قوصوه ونقض العهد: (.. أيـها الكفار هذا رأس ملككم ..).

بعـد أن اسـتطاع العثمـانيون في عـام ٨٤٢هـ مـن هزيمـة المجريين في جبهـة المجـر والاستيلاء على بعض المواقع فيها ، وأسر سبعين ألف جندي منهم ، وفتح عاصمة الصرب بلغراد ، قام الصليبيون بتكون حلف صليبي كبير باركه البابا ويستهدف هذا الحلف طرد المسلمين الفاتحين في من أوربا.

وقد شمل الحلف البابوية والمجر وبولندا والصرب وبلاد الأفلاق وجنوة والبندقية والإمبراطورية البيزنطية ودوقية برجنديا ، وانضم إلى الحلف أيضاً كتائب من الألمان والتشيك ، وأعطيت قيادة قوات الحلف الصليبي إلى قائد مجري يدعى" يوحنا هنيادي " الذي قام هو الآخر بالزحف جنوباً واجتياز الدانوب مما أدى إلى مباغتة العثمانيين وإلحاق هزيمتين فادحتين بهم عام ٨٤٦هـ ، لذا وجب على الأمة الاستعداد والأخذ بالاحتياط والتنبه لما يجوز وقعه لا سيما من أعداء الدين المقبوحين.

فاضطر العثمانيون إلى طلب الصلح ، وأبرمت المعاهدة في ٨٤٨هـ في

"سيزجادن " ، وكانت معاهدة للصلح تستمر عشر سنوات تنازل فيها السلطان مراد عن الصرب والاعتراف " بجورج برانكوفيتش " أميراً عليها.

كما تنازل أيضاً عن الافلاق للمجر ، وافتدى زوج ابنته " محمود شلبي " الذي كان قائداً عاماً للجيوش العثمانية بمبلغ ٦٠ ألف دوقية .. وحررت هذه المعاهدة باللغتين وأقسم "لاديسلاسي " ملك المجر على الإنجيل كما أقسم السلطان مراد بالقرآن على أن تراعي شروط المعاهدة بذمة وشرف.

وحين فرغ مراد من عقد الهدنة مع أعدائه الأوروبيين عاد إلى الأناضول وفجع بموت ابنه الأمير علاء واشتد حزنه عليه وزهد في الدنيا والملك ونزل عن السلطنة لابنه محمد وكان إذ ذاك في الرابعة عشرة من عمره ، إلاّ أنه أحاطه ببعض أهل الرأي والنظر من رجال دولته وذلك لصغر سنه.

ثم ذهب إلى مغنيسيا في آسيا الصغرى ليقضي بقية حياته في عزلة وطمأنينة ويتفرغ في هذه الخلوة إلى عبادة الله والتأمل في ملكوته بعد أن أطمأن إلى استتباب الأمن والسلام في أرجاء دولته ولم يستمتع السلطان طويلاً بهذه الخلوة والعبادة.

حيث قام الكاردينال سيزاريني وبعض أعوانه بالدعوة إلى نقض العهود مع العثمانيين وطردهم عن أوربا !!!

خصوصاً وأن العرش العثماني قد تركه السلطان مراد لابنه الفتى الذي لا خبرة له ولا خطر منه وقد اقتنع البابا أوجين الرابع بهذه الفكرة وطلب من النصارى نقض العهد ؟!؟! ومهاجمة المسلمين وزعم للنصارى أن المعاهدة التي عقدت مع المسلمين باطلة لأنها عقدت بدون إذن البابا وكيل المسيح في الأرض.

وكان الكاردينال سيزاريني عظيم النشاط دائم الحركة لا يكل عن العمل ، يجد ويسعى للقضاء على العثمانيين ولذلك كان يزور ملوك النصارى وزعمائهم ويحرضهم على نقض المعاهدة مع المسلمين ويقنع كل من يعترض عليه نكث المعاهدة ويقول له أنه باسم البابا يبرئ ذمتهم من نكثها ويبارك جنودهم وأسلحتهم !!

ونقض النصارى عهودهم ، وحشدوا الجيوش لمحاربة المسلمين ، وحاصروا مدينة " فارنا " البلغارية الواقعة على ساحل البحر الأسود ، والتي كانت قد تحررت على أيدي المسلمين ، ونقض العهود هو سَمْتُ ظاهر لأعداء هذا الدين ،

ولذلك أوجب الله سبحانه وتعالى على المسلمين قتالهم يقول سبحانه: (**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**) التوبة-١٢.

فلا عهود ولا مواثيق يرعونها كما هو طابعهم دائماً عياذاً بالله من الضلال. إنهم فلا يتورعون عن مهاجمة أي إنسان يلمحون فيه ضعفاً أو هوناً أو مسلكاً وطريقا (**لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاً وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُعْتَدُونَ**) التوبة-١٠ ، فيقتلون ويذبحون ويعذبون (**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) التوبة- ٣٢.

وعندما تحرك النصارى وزحفوا نحو الدولة العثمانية وسمع المسلمون في أدرنة بحركة الصليبيين وزحفهم انتابهم الفزع والرعب وبعثوا إلى السلطان مراد يستعجلون قدومه لمواجهة هذا الخطر ..

فخرج السلطان المجاهد القائد من خلوته ليقود جيوش العثمانيين ضد الخطر الصليبي ، واستطاع أثناء ذلك أن يتفق مع الأسطول الجنوي لينقل أربعين ألفاً من الجيش العثماني من آسيا إلى أوروبا تحت سمع الأسطول الصليبي وبصره في مقابل

دينار لكل جندي!!

وأسرع السلطان مراد في السير فوصل وارنه في نفس اليوم الذي وصل فيه الصليبيون. وفي اليوم التالي تقابل الجيشان الجيش النصراني والجيش الإسلامي ، ودارت بينهما معركة حامية اقتتل الفريقان فيها ، ووضع السلطان مراد المعاهدة التي نقضها أعداؤه على رأس رمح ليشهدهم على الغدر والعدوان وليزيد حماس جنده.

وقد كاد النصر يكون للنصارى في بادئ الأمر نتيجة حميتهم الدينية وحماسهم الزائد إلا أن تلك الحماية والحماس الزائد اصطدم بالروح الجهادية لدى المسلمين الأبطال ..

والتقى الملك "لاديسلاس " مع السلطان مراد وجها لوجه واقتتلا ، ودارت بينهما معركة حاسمة ، ثبت فيها السلطان مراد ، فعاجل الملك المجري النصراني الخائن بضربة قوية من رمحه اسقطته من على ظهر جواده فتمكن من قتله ، فأسرع بعض المجاهدين وجزوا رأسه ورفعوه على رمح مهللين مكبرين فرحين فصاح أحدهم في العدو " **أيها الكفار هذا رأس ملككم** " فكان عمل سديد

لتفرقة صفوف المعتدين وبث الرعب الشديد في قلوبهم ، وقد كان فاستحوذ عليهم الفزع والهلع ، فحمل عليهم المسلمون حملة قوية ، بددت شملهم وفرقت جمعهم وأذلت شأنهم وهزموهم شر هزيمة ، فتم بحمد الله سبحانه الظفر والنصر والعز والتمكين للإسلام والمسلمين ، وولى النصارى مدبرين يدفع بعضهم ولم يطارد السلطان مراد عدوه واكتفي بهذا النصر عظيم.

وكانت هذه المعركة في سهول قوصوه في ٨٥٢هـ ، واستمرت المعركة ثلاثة أيام انتهت بفوز ساحق للمسلمين.

فعاد السلطان القائد مراد إلى مغنيسيا بعد هذا النصر الساحق للمسلمين فعاد كما يعود الأسد المنتصر إلى عرينه بحمد الله تعالى.

القسطنطينية: (.. حسناً عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر ..).

كان محمد الفاتح يطمع في حياته أن ينطبق عليه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه أحمد في مسنده: (**لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش**).

فقام السلطان محمد الثاني بالتخطيط والترتيب لفتح القسطنطينية ، فبذل في ذلك جهوداً كبيرة في تقوية الجيش العثماني بالقوى البشرية حتى وصل تعداده بفضل الله إلى قرابة ربع مليون مجاهد ، كما قام بتدريب تلك الجموع على فنون القتال المختلفة ، وبمختلف أنواع الأسلحة التي تؤهلهم لخوض المعارك بكل جداره.

واعتنى أيضاً بإعدادهم إعداداً معنوياً قوياً وغرس روح الجهاد فيهم، وتذكيرهم بثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على الجيش الذي يفتح القسطنطينية وعسى أن يكونوا هم الجيش المقصود بذلك ، مما أعطاهم قوة معنوية وشجاعة

منقطعة النظير .

فكانت بوادر الحرب بإقامة قلعة " روملي حصار " في الجانب الأوروبي على مضيق البسفور في أضيق نقطة منه مقابل القلعة التي أسست في عهد السلطان بايزيد في البر الآسيوي ..

وقد حاول الإمبراطور البيزنطي ثني السلطان الفاتح عن بناء القلعة مقابل التزامات مالية تعهد به إلا أن الفاتح أصر على البناء لما يعلمه من أهمية عسكرية لهذا الموقع ، حتى اكتملت قلعة عالية ومحصنة ، وصل ارتفاعها إلى ٨٢ متراً وأصبحت القلعتان متقابلتين ولا يفصل بينهما سوى ٦٦٠م تتحكمان في عبور السفن من شرقي البسفور إلى غربيه ، وتستطيع نيران مدافعهما منع أي سفينة من الوصول إلى القسطنطينية من المناطق التي تقع شرقها مثل مملكة طرابزون وغيرها من الأماكن التي تستطيع دعم المدينة عند الحاجة لذلك.

فقام السلطان بجمع الأسلحة اللازمة لفتح القسطنطينية ، ومن أهمها المدافع ، والإشراف بنفسه على صناعة هذه المدافع وتجريبها ، وتجهيز الأسطول البحري العثماني حيث عمل على تقويته وتزويده بالسفن المختلفة ليكون مؤهلاً للقيام بدوره في الهجوم على القسطنطينية.

كما عمل الفاتح قبل هجومه على القسطنطينية على عقد معاهدات مع أعدائه المختلفين ليتفرغ لعدو واحد، ولكن هذه المعاهدات لم تصمد حينما بدأ الهجوم الفعلي على القسطنطينية، حيث وصلت قوات من تلك المدن وغيرها للمشاركة في الدفاع عن القسطنطينية مشاركة لبني عقيدتهم من النصارى متناسين عهودهم ومواثيقهم مع المسلمين ، كما هي عادتهم في كل مرة !!

في هذه الأثناء التي كان السلطان يعد العدة فيها للفتح ، عمل الإمبراطور البيزنطي عدة محاولات لثنية السلطان محمد الفاتح عن هدفه ، بتقديم الأموال والهدايا المختلفة إليه ، وبمحاولة رشوة بعض مستشاريه ليؤثروا على قراره إلاّ أن السلطان كان عازماً على ما أراد.

فلما رأى الإمبراطور البيزنطي ذلك عمد إلى طلب المساعدات من مختلف الدول والمدن الأوروبية.

وكانت القسطنطينية محاطة بالمياة البحرية في ثلاث جبهات ، مضيق البسفور ، وبحر مرمرة ، والقرن الذهبي الذي كان محمياً بسلسلة ضخمة جداً تتحكم في دخول السفن إليه ، بالإضافة الأسوار التي كانت تحيط بها ، وبالتالي فإنه كان

يصعب اختراقها لما كانت تحظى به من حماية شديدة.

لذلك فقد استعصت على عشرات المحاولات العسكرية لاقتحامها ومنها إحدى عشرة محاولة إسلامية سابقة ..

وقبل الهجوم كانت المدافع قد تحركت من أدرنة إلى قرب القسطنطينية ، في مدة شهرين حيث تمت حمايتها بقسم الجيش حتى وصلت الأجناد العثمانية يقودها الفاتح بنفسه إلى مشارف القسطنطينية في يوم الخميس ٢٦ ربيع الأول ٨٥٧هـ الموافق ٦ أبريل ١٤٥٣م ، فجمع الجند وكانوا قرابة مائتين وخمسين ألف جندي ، فخطب فيهم خطبة قوية حثهم فيها على الجهاد وطلب النصر أو الشهادة ، وذكرهم فيها بالتضحية وصدق القتال عند اللقاء ، وقرأ عليهم الآيات القرآنية التي تحث على ذلك ، كما ذكر لهم الأحاديث النبوية التي تبشر بفتح القسطنطينية وفضل الجيش الفاتح لها وأميره ، وما في فتحها من عز للإسلام والمسلمين ، فبادر الجيش بالتهليل والتكبير والدعاء .

وفي اليوم التالي قام السلطان بتوزيع جيشه البري أمام الأسوار الخارجية للمدينة ، مشكلاً ثلاثة أقسام رئيسية تمكنت من إحكام الحصار البري حول

مختلف الجهات ..

وحاول البيزنطيون أن يبذلوا قصارى جهدهم للدفاع عن القسطنطينية ووزعوا الجنود على الأسوار، واحكموا التحصينات وأحكم الجيش العثماني قبضته على المدينة، ولم يخلوا الأمر من وقوع قتال بين العثمانيين المهاجمين والبيزنطيين المدافعين منذ الأيام الأولى للحصار ، وفتحت أبواب الشهادة وفاز عدد كبير من العثمانيين بها خصوصاً من الأفراد الموكلين بالاقتراب من الأبواب ..

ولم تنقطع المساعدات المسيحية من أوروبا ووصلت إمدادات من جنوة مكونة من خمس سفن وكان يقودها القائد الجنوي جوستنيان يرافقه سبعمائة مقاتل متطوع من دول أوروبية متعددة واستطاعت سفنهم أن تصل الى العاصمة البيزنطية العتيقة بعد مواجهة بحرية مع السفن العثمانية المحاصرة للمدينة وكان لوصول هذه القوة أثر كبير في رفع معنويات البيزنطيين، وقد عين قائدها جستيان قائداً للقوات المدافعة عن المدينة ..

استبسل العثمانيون المهاجمون على المدينة وعلى رأسهم محمد الفاتح وصمد البيزنطيون بقيادة قسطنطين صموداً بطولياً في الدفاع ، وكان السلطان محمد

الفاتح رحمه الله قد عرض عليهم طلباً في غاية العدل والإنصاف والروعة ، إلاّ أن الإمبراطور قسطنطين رفض ذلك ، وكان مضمون الرسالة: (فليسلم لي إمبراطوركم مدينة القسطنطينية وأقسم بأن جيشي لن يتعرض لأحد في نفسه وماله وعرضه ومن شاء بقي في المدينة وعاش فيها في أمن وسلام ومن شاء رحل عنها حيث أراد في أمن وسلام أيضاً) .

كان الحصار لا يزال ناقصاً ببقاء مضيق القرن الذهبي في أيدي البحرية البيزنطية ، ومع ذلك فإن الهجوم العثماني كان مستمراً دون هوادة حيث أظهر الجنود شجاعة فائقة ، وبسالة نادرة ، فكانوا يقدمون على الموت دون خوف في أعقاب كل قصف مدفعي ..

وتمكنت المدافع العثمانية من فتح ثغرة في الأسوار البيزنطية عند وادي ليكوس في الجزء الغربي من الأسوار ، فاندفع إليها الجنود العثمانيون بكل بسالة محاولين اقتحام المدينة من الثغرة ، كما حاولوا اقتحام الأسوار الأخرى بالسلالم التي ألقوها عليها ، ولكن المدافعين عن المدينة بقيادة جستنيان استماتوا في الدفاع عن الثغرة والأسوار ، واشتد القتال بين الطرفين ، ومع ضيق المكان وشدة مقاومة

الأعداء وحلول الظلام أصدر الفاتح أوامره للمهاجمين بالانسحاب بعد أن أثاروا الرعب في قلوب أعدائهم متحينين فرصة أخرى للهجوم ..

وبينما هذه المعركة قائمة كان هناك معركة أخرى بين البحرية العثمانية وبعض السفن الأوروبية التي حاولت الوصول إلى الخليج ، حيث بذلت السفن الإسلامية جهوداً كبيرة لمنعها ، وأشرف الفاتح بنفسه على المعركة من على الساحل ، لكن السفن الأوروبية نجحت في الوصول إلى هدفها ولم تتمكن السفن العثمانية من منعها ، رغم الجهود العظيمة المبذولة.

وبينما السلطان محمد الفاتح كان يراقب هذه المعارك البحرية وهو على جواده وقد اندفع نحو البحر حتى غاص حصانه إلى صدره وكانت السفن المتقاتلة على مرمى حجر منه فأخذ يصيح لبطله أوغلي بأعلى صوته: يا قبطان ! يا قبطان ! ويلوح له بيده ، وضاعف العثمانيون جهودهم في الهجوم دون أن يؤثروا في السفن تأثيراً ليناً ..

كانت الهزائم البحرية للأسطول العثماني دور كبير في محاولة بعض مستشاري

السلطان وعلى رأسهم الوزير "خليل باشا" إقناعه بالعدول عن الاستيلاء على القسطنطينية والرضا بمصالحة أهلها دون السيطرة عليها وبالتالي رفع الحصار عنها ، ولكن السلطان أصر على محاولة الفتح واستمر في قصف دفاعات المدينة بالمدافع من كل جانب ، وفي الوقت نفسه كان يفكر بجدية في إدخال السفن الإسلامية إلى القرن الذهبي ..

فلاحت للسلطان فكرة بارعة وهي نقل السفن من مرساها في بشكطاش إلى القرن الذهبي ، وذلك بجرها على الطريق البري الواقع بين الميناءين مبتعداً عن حي غلطة خوفاً على سفنه من الجنوبيين ، وقد كانت المسافة بين الميناء نحو ثلاثة أميال، ولم تكن أرضاً مبسوطة سهلة ولكنها كانت وهاداً وتلالاً غير ممهدة.

فجمع محمد الفاتح أركان حربه وعرض عليهم فكرته ، وحدد لهم مكان معركته القادمة ، فتلقى منهم كل تشجيع ، وأعربوا عن إعجابهم بها.

بدأ تنفيذ الخطة ، وأمر السلطان محمد الثاني فمهدت الأرض وسويت في ساعات قليلة وأتى بألواح من الخشب دهنت بالزيت والشحم، ثم وضعت على الطريق الممهد بطريقة يسهل بها انزلاج السفن وجرها..

وتمكن العثمانيون في تلك الليلة من سحب أكثر من سبعين سفينة وإنزالها في القرن الذهبي على حين غفلة من العدو ، بطريقة لم يسبق إليها السلطان الفاتح قبل ذلك.

فتم بحول الله وقدرته كل ذلك في ليلة واحدة ، واستيقظ أهل المدينة صباح يوم ١٢ربيع الثاني على تكبيرات العثمانيين المدوية ، وهتافاتهم المتصاعدة ، وفوجئ الروم بالسفن العثمانية وهي تسيطر على ذلك المعبر المائي ، ولم يعد هناك حاجز مائي بين المدافعين عن القسطنطينية وبين الجنود العثمانيين ..

ولقد عبر أحد المؤرخين البيزنطيين عن عجبهم من هذا العمل فقال: (ما رأينا ولا سمعنا من قبل بمثل هذا الشيء الخارق ، محمد الفاتح يحول الأرض إلى بحار وتعبر سفنه فوق قمم الجبال بدلاً من الأمواج ، لقد فاق محمد الثاني بهذا العمل الأسكندر الأكبر).

وقد حاول الامبراطور البيزنطي تنظيم أكثر من عملية لتدمير الأسطول العثماني في القرن الذهبي إلا أن محاولته المستميته كان العثمانيون لها بالمرصاد حيث أفشلوا كل الخطط والمحاولات.

واستمر المسلمون في دك نقاط دفاع المدينة وأسوارها بالمدافع ، وحاولوا تسلَّق أسوارها ، وفي الوقت نفسه انشغل المدافعون عن المدينة في بناء وترميم ما يتهدم من أسوار مدينتهم ورد المحاولات المكثفة لتسلق الأسوار ..

وكررت القوات الإسلامية عملية الهجوم على الأسوار ومحاولة تسلقها مرات عديدة بصورة بطولية بلغت غاية عظيمة من الشجاعة والتضحية والتفاني ، فقام المسلمون بوضع مدافع خاصة على الهضاب المجاورة للبسفور والقرن الذهبي ، مهمتها تدمير السفن البيزنطية والمتعاونة معها في القرن الذهبي والبسفور والمياه المجاورة مما عرقل حركة سفن الأعداء وأصابها بالشلل تماماً ..

وكان السلطان محمد الفاتح يوالي الهجمات وإطلاق القذائف في البر والبحر دون انقطاع ليلاً ونهاراً من أجل إنهاك قوى المحاصرين ، وعدم تمكينهم من أن ينالوا أي قسط من الراحة والهدوء .

وقام المسلمون باللجوء إلى أسلوب جديد في محاولة الاقتحام وذلك بأن صنعوا قلعة خشبية ضخمة شامخة متحركة تتكون من ثلاثة أدوار ، وبارتفاع

أعلى من الأسوار ، وقد كسيت بالدروع والجلود المبللة بالماء لتمنع عنها النيران ، وكان في كل طابق منها عدد من الجنود يحملون القذائف ومختلف أدوات القتال ، وكان الذين في الدور العلوي من الرماة يقذفون بالنبال كل من يطل برأسه من فوق الأسوار ..

فاستيقظ أهل القسطنطينية فإذا بهم يرون أمامهم قلعة ضخمة شامخة من الخشب فوقع الرعب في قلوب المدافعين عن المدينة ، وهالهم أمر هذه القلعة العظيمة ، ووقف الإمبراطور قسطنطين ومن معه من مساعديه وأركان حربه ينظرون إليها في عجب ودهشة وفزع ، فقال المؤرخ البندقي صديق الإمبراطور " باربارو" :(لو اجتمع جميع نصارى القسطنطينية على أن يصنعوا مثل هذه القلعة لما صنعوها في شهر ، وقد صنعها المسلمون الأتراك في ليلة واحدة بل في أقل من أربع ساعات).

فزحف المسلمون بهذه القلعة واقتربوا بها من الأسوار و تمكنوا من لصقها بالأسوار ودار بين من فيها وبين النصارى عند الأسوار قتل شديد واستطاع بعض المسلمين ممن في القلعة تسلق الأسوار ونجحوا في ذلك ، وعندما رأى قسطنطين

ذلك ظن أن الهزيمة حلت به ، إلا أن المدافعين كثفوا من قذف القلعة بالنيران حتى أثرت فيها وتمكنت منها النيران فاحترقت ..

وانتهت المعركة وكانت نهايتها وبالاً على العدو ، إذ تحطمت أربعة أبراج بما فيها من جند وعتاد ، وانسحب العثمانيون أمام دفاع البيزنطيين الشديد ، ولم ييأسوا من المحاولة ، أما السلطان الرائع محمد الفاتح فما زاد على أن تبسم عندما رأى قلعته الخشبية كومة من الرماد ، وقال لمهندسه مصلح الدين: (**غداً نصنع أربعاً أخرى غيرها**).

فكانت بصمة من بصمات القوة والعظمة والعزةلهذا الدين العظيم الذي كان وما زال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بحوله وقوته.

وكان المسلمون قبل هذه القلعة قد حفروا خنادقاً تحت الأرض وأنفاقاً لداخل المدينة إلاّ أن البيزنطيين تنبهوا لها فصبوا عليهم ألسنة النيران والنفط المحترق والمواد الملتهبة ، فأختنق كثير منهم واحترق قسم آخر ، ومن وقع في أسر النصارى فقطعت رؤوسهم وقذف بها إلى معسكر السلطان ..

إلاّ أن عزيمة المسلمين بقيادة سلطانهم الشجاع لم تهن أو تضعف كما كان يتوقع بعد كل هذه النتائج ، بل إن ذلك زاد من تفاؤل السلطان محمد الفاتح وثقته بالنصر الذي سيحرزه بتأييد الله تعالى له ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله على كل شيء قدير.

لقد كان السلطان محمد الفاتح وجنوده مثلا للشجاعة والقوة والإصرار وعزة النفس ، مقتدين بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يعرفون الاستسلام أو الوهن والضعف والذل ، وهذا ما يجب أن تكون علية الأمة الإسلامية والمسلمين في كل زمان ومكان في أي عصر أو مصر.

مضت سبعة أسابيع والحصار قائم والحرب دائرة حتى أرهق من بداخل المدينة من البيزنطيين ، فعقد زعماء المدينة اجتماعاً ١٥جمادى الأول داخل قصر الإمبراطور وبحضوره شخصياً ، وقد لاح في الأفق بوادر يأس المجتمعين من إنقاذ المدينة حيث اقترح بعضهم على الإمبراطور الخروج بنفسه قبل سقوط المدينة لكي يحاول جمع المساعدات والنجدات لإنقاذها أو استعادتها بعد السقوط ، ولكن الإمبراطور رفض ذلك مرة أخرى وأصر على البقاء داخل المدينة والاستمرار في

قيادة شعبه ، وخرج لتفقد الأسوار والتحصينات.

وأخذت الإشاعات تهيمن على المدينة وتضعف من مقاومة المدافعين عنها، وكان من أقواها عليهم ما حدث في يوم ١٦ جمادى الأولى حيث حمل أهل المدينة تمثالاً للسيدة مريم العذراء (بزعمهم) ، وأخذوا يتجولون به في ضواحي المدينة ، يدعونه ويتضرعون إلى العذراء أن تنصرهم على أعدائهم ، وفجأة سقط التمثال من أيديهم وتحطم ، فرأوا في ذلك شؤم ونذير بالخطر ، وتأثر سكان المدينة وخصوصاً المدافعين عنها ..

وحدث في اليوم التالي ١٧ جمادى الأول هطول أمطار غزيرة مصحوبة ببعض الصواعق ، ونزلت إحدى الصواعق على كنيسة آيا صوفيا ، فتشاءم البطريق ، وذهب إلى الإمبراطور وأخبره أن الله تخلى عنهم وأن المدينة ستسقط في يد المجاهدين العثمانيين ، فتأثر الامبراطور حتى أغمى عليه.

وكانت المدفعية العثمانية لا تنفك عن عملها في دك الأسوار والتحصينات ، وتهدمت أجزاء كثيرة من السور والأبراج وامتلئت الخنادق بالأنقاض ، التي يئس المدافعون من إزالتها وأصبحت إمكانية اقتحام المدينة واردة في أي لحظة.

بعد أن أيقن محمد الفاتح أن المدينة على وشك السقوط ، علم بحال سكانها مما هم فيه من كرب وضيق حاول أن يكون دخوله لها بسلام ، فبعث برسالة إلى الإمبراطور دعاه فيها إلى تسليم المدينة دون إراقة دماء ، وعرض عليه تأمين خروجه وعائلته وأعوانه وكل من يرغب من سكان المدينة إلى حيث يشاؤون بأمان ، وأن تحقن دماء الناس في المدينة ولا يتعرضوا لأي أذى ويكونوا بالخيار في البقاء في المدينة أو الرحيل عنها ..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش.

ولما وصلت الرسالة إلى الإمبراطور جمع المستشارين وعرض عليهم الأمر ، فمال بعضهم إلى التسليم إلاّ أن الإمبراطور أصر على استمرار الدفاع عن المدينة حتى الموت ..

ورد رسول الفاتح برسالة قال فيها: (إنه يشكر الله إذ جنح السلطان إلى السلم وأنه يرضى أن يدفع له الجزية أما القسطنطينية فإنه أقسم أن يدافع عنها إلى آخر نفس في حياته فإما أن يحفظ عرشه او يدفن تحت أسوارها).

فلما وصلت الرسالة إلى السلطان محمد الفاتح قال بكل قوة وعزة: (**حسناً عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش او يكون لي فيها قبر**).

وفي يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى وجه السلطان محمد الفاتح الجنود إلى الخشوع وتطهير النفوس والتقرب إلى الله تعالى بالصلاة وعموم الطاعات والتذلل والدعاء بين يديه ، لعل الله أن يسر لهم الفتح ، وانتشر هذا الأمر بين عامة المسلمين ..

كما قام الفاتح بنفسه ذلك اليوم بتفقد أسوار المدينة ومعرفة آخر أحوالها ، وما وصلت إليه أوضاع المدافعين عنها في النقاط المختلفة ، وحدد مواقع معينة يتم فيها تركيز القصف العثماني ، تفقد فيها أحوالهم وحثهم على الجد والتضحية في قتال الأعداء ..

وفي مساء اليوم نفسه أوقد العثمانيون ناراكثيفة حول معسكرهم وتعالت صيحاتهم وأصواتهم بالتهليل والتكبير ، حتى خيل للروم أن النار قد اندلعت في معسكر العثمانيين ، فإذا بهم يكتشفون أن العثمانيين يحتفلون بالنصر مقدم ، مما

أوقع الرعب في قلوب الروم ، وفي اليوم التالي كانت الاستعدادات الإسلامية على أشدها والمدافع ترمي البيزنط بنيرانها ، والسلطان يدور بنفسه على المواقع العسكرية المختلفة متفقدا وموجها ومذكرا بالإخلاص والدعاء والتضحية والجهاد.

وبعد أن عاد الفاتح إلى خيمته ودعا إليه كبار رجال جيشه اصدر إليهم التعليمات الأخيرة ، ثم ألقى عليهم الخطبة التالية: " إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث من أحاديث رسول الله ومعجزة من معجزاته وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التمجيد والتقدير فأبلغوا أبناءنا العساكر فردا فردا ، أن الظفر العظيم الذي سنحرزه سيزيد الإسلام قدرا وشرفا ..

ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينيه فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافي هذه التعاليم ، وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسوها بأذى ، ويدعوا القسس والضعفاء والعجزة الذين لا يقاتلون " .

وعند الساعة الواحدة صباحا من يوم الثلاثاء ٢٠ جمادى الأولى سنة ٨٥٧هـ الموافق ٢٩ مايو ١٤٣٥م بدأ الهجوم العام على المدينة بعد أن أصدرت

الأوامر للمجاهدين الذين علت أصواتهم بالتكبير وانطلقوا نحو الأسوار ، وخاف البيزنطيون خوفا عظيما ، وشرعوا في دق نواقيس الكنائس والتجأ إليها كثير من النصارى وكان الهجوم النهائي متزامنا برا وبحرا في وقت واحد حسب خطة دقيقة أعدت بإحكام ..

وكان المجاهدون يرغبون في الشهادة ولذلك تقدموا بكل شجاعة وتضحية وإقدام نحو الأعداء ونال الكثير من المجاهدين الشهادة ، وكان الهجوم موزعا على كثير من المناطق ، ولكنه مركز بالدرجة الأولى في منطقة وادي ليكوس ، بقيادة السلطان محمد الفاتح نفسه ، وكانت الكتائب الأولى من العثمانيين تمطر الأسوار والنصارى بوابل من القذائف والسهام محاولين شل حركة المدافعين ..

ومع استبسال البيزنطيين وشجاعة العثمانيين كان الضحايا من الطرفين يسقطون بأعداد كبيرة ، وبعد أن أنهكت الفرقة الأولى الهجومية كان السلطان قد أعد فرقة أخرى فسحب الأولى ووجه الفرقة الثانية ..

وكان المدافعون قد أصابهم الإعياء ، وتمكنت الفرقة الجديدة ، من الوصول

إلى الأسوار وأقاموا عليها مئات السلالم في محاولة جادة للإقتحام ، ولكن النصارى استطاعوا قلب السلالم واستمرت تلك المحاولات المستمية من المهاجمين ، والبيزنطيون يبذلون قصارى جهودهم للتصدي لمحاولات التسلق ، وفي الوقت نفسه كان القتال يجري على قدم وساق في المنطقة البحرية فكانت الحرب قائمة والنيران مشتعلة مما شتت قوات المدافعين وأشغلهم في أكثر من جبهة في وقت واحد ..

ومع بزوغ نور الصباح أصبح المهاجمون يستطيعون أن يحددوا مواقع العدو بدقة أكثر ، وشرعوا في مضاعفة جهودهم في الهجوم وكان المسلمون في حماسة شديدة وحريصين على إنجاح الهجوم ، ومع ذلك أصدر السلطان محمد الأوامر إلى جنوده بالإنسحاب لكي يتيحوا الفرصة للمدافع لتقوم بعملها مرة أخرى ..

وبعد أن هدأت المدفعية جاء قسم جديد من شجعان الإنكشارية يقودهم السلطان نفسه تغطيهم نبال وسهام المهاجمين التي لا تنفك عن محاولة منع المدافعين عنها وأظهر جنود الإنكشارية شجاعة فائقة وبسالة نادرة في الهجوم واستطاع ثلاثون منهم تسلق السور وتمهيد الطريق والدخول إلى المدينة ورفع

الأعلام العثمانية ..

ولما رأى قسطنطين الأعلام العثمانية ترفرف على الأبراج الشمالية للمدينة ، أيقن بعدم جدوى الدفاع وخلع ملابسه حتى لايعرف ، ونزل عن حصانه وقاتل حتى قتل ..

وكان لانتشار خبر موته دور كبير في زيادة حماس المجاهدين العثمانيين وسقوط عزائم النصارى المدافعين وتمكنت الجيوش العثمانية من دخول المدينة من مناطق مختلفة وفر المدافعون بعد انتهاء قيادتهم ، أما القتال البحري فجرى كعادته حتى رأى النصارى الأعلام الإسلامية ترفرف فوق الأبراج فأصيبوا بذهول وخيبة أمل فمنهم من استسلم بمركبه ومنهم من فر بسفينته بعيداً يلتمس طريقاً للخلاص.

وهكذا وبعد حصار دام أكثر من خمسين يوماً سقطت المدينة الحصينة وتمكن المسلمون بحمد الله تعالى من الاستيلاء عليها ، بقيادة أميرهم الشاب الذي لم يتجاوز الثالثة والعشرون سنة من عمره.

الذي شارك مع جنده في تلك اللحظات فرحة النصر ، ولذة الفوز والغلبة

على الأعداء ، وكان الجند يرددون: ما شاء الله ، فيلتفت إليهم السلطان محمد الفاتح ويقول لهم : لقد أصبحتم فاتحي القسطنطينية الذي أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهنأهم بالنصر و نهاهم عن القتل ، وأمرهم بالرفق بالناس والإحسان إليهم ، ثم ترجل عن فرسه وسجد لله على الأرض شكراً وحمداً وتواضعاً لله سبحانه والحمد له رب العالمين.

كيف تصنع لك تاريخاً ؟

إذا أردت أن تصنع لك تاريخاً فعليك بما يلي:

أولاً – الإيمان بأن التاريخ الإسلامي أعظم تواريخ البشرية جمعاء إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ..

يقول سيد قطب رحمه الله:" آمن أنت أولاً بفكرتك آمن بها إلى حد الاعتقاد الحار ، عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون ، وإلا فستبقى مجرد صياغة لفظية خالية من الروح والحياة !!

لا حياة لفكرة لم تتقمص روح إنسان ، ولم تصبح كائناً حياً دب على وجه الأرض في صورة بشر ..

كذلك لا وجود لشخص لا تعمر قلبه فكرة يؤمن بها في حرارة وإخلاص ..

إن التفريق بين الفكرة والشخص كالتفريق بين الروح والجسد ، أو المعنى واللفظ ؛ عملية في بعض الأحيان مستحيلة ، وفي بعض الأحيان تحمل معنى التحلل والفناء !!

كل فكرة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان ، أما الأفكار التي لم تطعم هذا الغذاء المقدس فقد ولدت ميتة ولم تدفع بالبشرية شبراً واحداً إلى الأمام " .

ثانياً – الشعور بقيمة النفس المسلمة وعظمتها مقارنة بعباد الأوثان والفئران والأبقار ؟! أو المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به ويتبعوه ، وهم اليهود ومن كان على شاكلتهم ، أو الضالين الذين لم يهتدوا ، فضلوا الطريق ، وهم النصارى ومن اتبع سنتهم ومن كان معهم .. يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " وبالله لمسلمٌ واحدُ أحب إلي مما حوت الروم ".

وما تملكه هذه النفوس العظيمة المؤمنة بالله العظيم الذي هدنا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله عز وجلّ **(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ)** الأعراف-٤٣

وأنها تملك شيئاً يمكن أن تقدمه للآخرين وهم في حاجة شديدة إليه ، ولا أحوج للبشر من هذا الدين العظيم دين الحق والعز والرحمة والعدل والراحة والسعادة الأبدية ..

يقول سيد قطب رحمه الله:" الإنسان إذا لم يكن عنده شيء يقدمه للآخرين أو على الأقل يشعره بمساهمته معهم يصيبه الانطواء و الخمول ..

ويمكن أن يلاحظ في الإنسان الذي يحسن شيئاً يحتاج إليه الآخرون يشعره ذلك بقيمته و يجعله فعالاً في بيانه وتطبيقه ..

فإذا ما تحقق الإنسان من أهمية جهده في صنع أحداث التاريخ وأدرك بجانب ذلك أنه يملك الشيء الذي يفتقده العالم للتغلب على مشاكله ، فإن من لا يفهم أنه يملك أفكاراً عادلة و أعمالاً صالحة يمكن أن يخرج بها الناس من الظلم و الظلمات لا يمكن أن يكون آمراً بالعدل ..

فإذا توفر إدارك أثر جهد الإنسان .. يكون ذلك سبباً في ارتفاع درجة الفاعلية التي تشيع في جميع أفراد الأمة من صغيرها إلى كبيرها ومن رجالها إلى نسائها ، فإن هذه المفاهيم كالغيث إبان الربيع يساهم في تحريك النباتات و البراعم في كل مكان ".

ثالثاً – والأهم العودة إلى الله سبحانه والاستعانة به ، والتمسك بكتابه وسنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، والإلحاح على الله في الدعاء بالنصر والتمكين والعزة والرفعة و المنعة من الذلة: **(وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)** يونس-٦٥

رابعاً – الابتعاد عن الغفلة والتسويف ، كن على قدم الاستعداد ، فلا يستنفر ولي الأمر إلاّ ورعيته على أهب الاستعداد لأي أمر أو توجيه ، يقول حسن البنا

رحمه الله واصفاً المجاهد: " أستطيع ن أتصور المجاهد ، شخص قد أعد عدته ، وأخذ أهبته ، وملك عليه الفكر فيما هو فيه نواصي نفسه وجوانب قلبه ، دائم التفكير ، عظيم الاهتمام ، على قدم الاستعداد أبداً ، إن دُعي أجاب ، أو نودي لبى ، غدوه ورواحه وحديثه وكلامه وجده ولعبه لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له ".

وهذا من حقوق الخليفة على المسلمين ، السمع والطاعة لأي أمر أو توجيه في غير معصية لله سبحانه: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)** النساء-٩٥

كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه:" **من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله. ومن يطع الأمير فقد أطاعني. ومن يعص الأمير فقد عصاني**".

وهو أيضاً ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاختلاف والفرقة بين صفوف المسلمين:" **من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، ثم مات ، مات ميتة جاهلية**".

وقال صلى الله عليه وسلم:" **من كره من أميره شيئا فليصبر عليه. فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا ، فمات عليه، إلا مات ميتة جاهلية**".

وهذا ما كان يريده أعداء الدين العظيم من الإيقاع بالمسلمين قال صلى الله عليه وسلم: " **إنه ستكون هنات وهنات. فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة ، وهي جميع ، فاضربوه بالسيف ، كائنا من كان** "

خامساً – الحماسة والإصرار ، يقول المودودي رحمه الله :" إن من الواجب أن تكون في قلوبكم نار متقدة تكون في ضرامها على الأقل مثل النار التي تتقد في قلب أحدكم عندما يجد ابناً له مريضاً و لا تدعه حتى تجره إلى الطبيب أو عندما لا يجد في بيته شيئاً يسد به رمق حياة أولاده فتقلقه وتضطره إلى بذل الجهد والسعي.

إنه من الواجب أن تكون في صدروكم عاطفة صادقة تشغلكم في كل حين من أحيانكم في سبيل غايتكم ، تعمر قلوبكم بالطمأنينه وتكسب لعقولكم الإخلاص والتجرد ، تستقطب عليها جهودكم وأفكاركم بحيث إن شؤونكم

الشخصية وقضاياكم العائلية إذا استرعت اهتمامكم فلا تلتفون إليها إلا مكرهين ، وعليكم بالسعي ألا تنفقوا لمصالحكم الشخصية إلا أقل ما يمكن من أوقاتكم وجهودكم ، فتكون معظمها منصرفة لما اتخذتم لأنفسكم من الغاية في الحياة.

وهذه العاطفة ما لم تكن راسخة في أذهانكم ، ملتحمة مع أرواحكم ودمائكم ، آخذة عليكم ألبابكم وأفطاركم فإنكم لا تقدرون أن تحركوا ساكناً بمجرد أقوالكم .."

سادساً – التدرب على جعل العزيمة واقعاً في دنيا الناس فمهما كانت الإرادة هزيلة والعزيمة ضعيفة فلا تلبث أن تدرب فتتقوى وتشتد.

سابعاً – المحافظة على الوقت ، يقول أحدهم " الرجل الذي يدخر كل الدقائق المفردة وأنصاف الساعات المهملة ، والمناسبات غير المنتظرة ، والفسحات التي بين وقت وآخر ، والفترات التي تنقضي في انتظار الأشخاص أو الأشياء .. ويستعمل كل هذه الأوقات ويستفيد منها يأتي دائماً بنتائج باهرة مثمرة يدهش لها الذين لم يفطنوا لهذ السر العظيم ! "

ثامناً – الاعتزاز بهذا الدين العظيم الذي ارتضاه الله للعالمين: (**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ**) آل عمران-٨٥

تاسعاً – الإخلاص لله سبحانه في القول والعمل (**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) غافر-١٤

عاشراً – الاطلاع على أمجاد الأمة وفتوحاتها البهية وانجازاتها المشرقة وحضارتها الزاهرة وبصماتها الخالدة وصنائعها المتألقة ، سواء كان بياناً في الكتب ، أو عياناً في مشارق الأرض ومغاربها ..

قال ابن كثير رحمه الله: (وهكذا وقع وعمَّ هذا الدين ، وغلب وعلا على سائر الأديان في مشارق الأرض ومغاربها ، وعلت كلمته في زمن الصحابة ومن بعدهم ، وذلت لهم سائر البلاد ، ودان لهم جميع أهلها ، وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين ، وإما مهادن باذل الطاعة والمال ، وإما محارب خائف وَجِلٌ من سطوة الإسلام وأهله).

– وأخيراً لن تموت فكرة صالحة يقول سيد قطب رحمه الله: " .. هناك أشياء

كثيرة أود أن أعملها لو مد لي في الحياة ولكن الحسرة لن تأكل قلبي إذا لم أستطع ؛ إن آخرين سوف يقومون بها ، إنها لن تموت إذا كانت صالحة للبقاء ، فأنا مطمئن إلى أن العناية التي تلحظ هذا الوجود لن تدع فكرة صالحة تموت .. ".

ميزان اجتماع كلمة المسلمين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله. ويؤمنوا بي وبما جئت به. فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها. وحسابهم على الله" رواه مسلم .

فالأمر السديد ، والميزان الصحيح ، والفاصل الأكيد ، والضابط الوحيد ، لاجتماع سواد الأمة بلا غمة ، على الحق المبين والنور العظيم والصراط المستقيم ، شهادة **أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله** ، فلا تفرق ولا تشتت ، ولا نزاع ولا تعصب ..

فإلهنا واحد وديننا واحد ورسولنا واحد ومنهجنا واحد كتاب الله وسنة رسوله محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام: " **قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي اِلاَّ هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَاِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ** "
..

ومن حرف وبدل وكذب وأفسد فحسابه على الله تعالى ، وأمره إلى الله سبحانه ، فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام: **(قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)** الأنعام-١٠٤

(إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) الزمر-٤١

يقول عبدالكريم زيدان:(والاختلاف كما يضعف الأمة ويهلكها يضعف الجماعة المسلمة التي تنهض بواجب الدعوة إلى الله ثم يهلكها ولهذا كان شر ما تبتلى به الجماعة المسلمة وقوع الاختلاف المذموم فيما بينها بحيث يجعلها فرقاً شتى، بحيث ترى كل فرقة أنها على حق وصواب وأن غيرها على خطأ وضلال ، وتعتقد كل فرقة أنها هي التي تعلم لمصلحة الدعوة.

وهيهات أن تكون الفرقة والتشتت والاختلاف المذموم في مصلحة الدعوة أو أن مصلحة الدعوة تأتي عن طريق التفريق، ولكن الشيطان هو الذي يزين الفرقة والتفريق في أعين المتفرقين المختلفين فيجعلهم يعتقدون أن اختلافهم وتفرقهم في مصلحة الدعوة.

والاختلاف في الجماعة لا يقف تأثيره عند حد إضعاف الجماعة وإنما يضعف تأثيرها في الناس ، وتجعل المعرضين ينفثون باطلهم في الناس ويقولون: جماعة سوء تأمر الناس بأحكام الإسلام ، والإسلام يدعو إلى الألفة والاجتماع وينهى عن الاختلاف ، وهي تخالفه إذ هي متفرقة مختلفة فيما بينها ، كل فرقة تغيب الأخرى وتدعي أنها وحدها على الحق.

ثم يؤول الأمر إلى انحسار تأثير الجماعة في المجتمع ثم اضمحلالها واندثارها وقيام جماعات جديدة مكانها هي فرق المنفصلين عنها ، ووقائع التاريخ البعيد والقريب تؤيد ما نقول).

وليُعلم أن النصر على الأعداء لا يكون إلاّ بالعودة إلى الله تعالى قلباً وقالباً ، سراً وجهراً قولاً وفعلاً ، وتحكيم شرعه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ..

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) الأحزاب-١٥

فإذا طهرت القلوب ، وصفت النفوس ، وانشرحت الصدور ، وتوحدت

الصفوف ، كان النصر والعزة ، والتمكين والرفعة ، والمنعة من الذلة .. بحول الله جلّ في علاه .. وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إذ يقول فيما رواه النسائي وأحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه:" **عليكم بالجماعة ؛ فإنما يأكل الذئب القاصية** ".

ولا بأس بتقديم بعض التنازلات في الدنيا لا في الدين وتسوية الخلافات ، وتقديم النصح والإرشادات ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتي هي أحسن ، فالذي يُهمُ هو إنقاذ الناس من الكفر والضلال بدين الله تعالى ولو لم يقدموا لهذا الدين شيئاً .. **(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)** السجدة-٢٤

يا أيها الأسد الكواسر أبشروا النصر لاح مع الصباح فكبروا

ولا ينظر إلى الكثرة أو القلة فليس المقصود بها أو المجموع لها ، لأن النصر والتمكين من عند الله العلي العظيم لعباده المؤمنين: **(وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصَارِ)** آل عمران-١٣..

روى الإمام مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

سلم:" **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله** ".

وقال تعالى: (**اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**) الأعراف-١٢٨..

وليُحذر من المنافقين المندسين والكفرة المفسدين ، وهذا ما يجب على المسلمين ، ولينظروا في قصص الأولين ويعتبروا من هزائم المسلمين والوقائع التي مرت بهم والفجائع التي أصابتهم ، فالتاريخ ديوان المواعظ والعبر ، ومكمن الجواهر والدرر ، أمرنا الله سبحانه بالاعتبار بما فيه والنظر في أحداثه: (**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ**) يوسف-١١١ ..

وقال تعالى: (**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ**) الحشر-٢ ..

ومما ابتلي به بعض فئات المسلمين ممن كان في التاريخ الماضي أو العصر الحالي ما يسمى الحول الجهادي ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ، فتجد المصاب به يعرض عن أهل الكفر والفساد والشرك والضياع إلى الإسلام والمسلمين إلى حملة الشهادتين شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ..

قال رجل لرسول الله صلوات ربي وسلامه عليه: يا رسول الله اتق الله ، فقال: (**ويلك ، أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله**). ثم ولى الرجل. فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ، ألا أضرب عنقه ؟ قال: (**لا، لعله أن يكون يصلي**).

فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم**) ..

أو إلى المعاهدين الذين هم في ذمة الدين العظيم .. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من قتل نفساً معاهداً لم يُرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً**).

وليعلم هؤلاء المغرر بهم أنهم جعلوا من أنفسهم صيداً ثميناً للأعداء الحاقدين على الإسلام والمسلمين سواء من الخوارج المارقين أو النصارى الضالين أو اليهود الملعونين أو غيرهم من المفسدين أو المنافقين أو الكفرة والملحدين ، كما حدث في عصور المتقدمين ، أو مما هو معلوم مبين ، للإيقاع بين المسلمين ومن ثم الوقيعة بهم ، فتتفرق صفوف المسلمين وتتزعزع نفوسهم وتختلف كلمتهم ، فيتسنى للمقبوحين الانقضاض على المسلمين كما يتصورون وله يخططون ، وإنه لزمان

بعيد كبعد المشرقين عن المغربين لو كانوا يعلمون ..

عن أسير بن عمير رضي الله قال: لما كان في الناس من القتل ما كان سمعت بأبي مسعود رضي الله عنه سار فلحقته بالسيلحين ، فإذا هو في بستان قد توضأ فاستقبلته فأجلسته ، فحمدت الله عز وجل وأثنيت عليه ثم قلت : قد كان لك صاحبان مفزعي إليهما حذيفة وأبو موسى رضي الله عنهما ، وإني حدثت بمسيرك فتبعتك وإني لمحمود ، وإني أنشدك الله عز وجل وأنشدك الاسلام إن كنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا في هذه الفتن إلاَّ حدثتني وإن كنت لم تسمع إلاَّ جهدت لي رأيك.

فقَال: عليك بتقوى الله عز وجل وعليك بعظم أمة مُحَمد صلى الله عليه وسلم ، فإن الله عز وجل لم يجمع أمته صلى الله عليه وسلم على ضلالة. واصبر حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر.

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ) يوسف-١٠٨

وأيضاً الحذر من الانحراف والانغماس في الشهوات والملذات والمغريات ، التي توهن الضعف وتقسي القلب وتحقق الذل وتبعد المرء عن جادة الطريق وعن

الصراط المستقيم ودين الله القويم ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيما رواه الترمذي- وقال حديث صحيح - عن عمرو بن عوف رضي الله عنه:" **فو الله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم** ".

وليحذر أحفاد الصحابة والتابعين من البنات أو البنين من الأعداء الناقمين والخونة الحاقدين ، وإن أظهروا من الحب واللين ما فيه الشيء الكثير والأمر العجيب .. يقول أحد الخبثاء الغربيين: غانية وكأس تفعل في أمة محمد مالا يفعله ألف صاروخ !!

ومن هنا عُرف أنه لا سبيل على الصراط المستقيم والمنهج القويم ، والاتزان الصحيح والاعتدال المريح: (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**) البقرة-١٤٣ ..
والحمد لله رب العالمين ..

بصمة الضعف !

بصمة الضعف وهل مرت بالمسلمين ؟؟

لقد مرت أمتنا الإسلامية بانتصارات عظيمة وفتوحات كبيرة إلاّ أنه فعلاً قد نالها في بعض العصور هزائم وفجائع ووقائع تقشعر منها النفوس وتدمع لها العيون وتضيق لها الصدور .. نعوذ بالله من عجز الثقة وجلد الكافر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

إن سنن الله تعالى في الهزيمة والانتصار سنن كونية ثابتة لا تتبدل ولا تتحول (**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّـهِ تَبْدِيلاً**) وقال تعالى: (**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّـهِ تَحْوِيلاً**) إلاّ أنه ليس سواء فقتلانا في الجنة وقتلاهم في النار بإذن الله تعالى.

فيتعظ المؤمنون ويحذر العاقلون ويتنبه الغافلون ويستعد المسلمون ، فتتقوى العزائم وتشحن الهمم وتعلو الأمة للقمم ..

فهؤلاء هم المسلمون في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها ، مجتمعون متلاحمون ، متكاتفون متماسكون ، متنبهون متفهمون ، بواسل وشجعان ، أقوياء وأبطال ، عباقرة وأفذاذ .. صغيرهم وكبيرهم ، نساءهم ورجالهم ..

يقول أحد أساتذة الغرب:" إنكم لن تستطيعوا أن تنافسوا الدول الكبرى علمياً أو تقنياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو عسكرياً ، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا تلك الدول تجثوا على ركبها أمامكم بالإسلام ..

أفيقوا من غفلتكم لقيمة هذا النور الذي تحملون وتتعطش إليه أرواح الناس في مختلف جنبات الأرض ، تعلموا الإسلام وطبقوه واحملوه لغيركم من البشر تنفتح أمامكم الدنيا ، ويدين لكم كل ذي سلطان ".

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) محمد-٧

نعم قد يعتري البعض الوهن والخور والضعف والانهزام إلاّ أن بعده إيمان وعزيمة ، وقوة وعزة ، ونصر وتمكين ، وفتح عظيم بإذن الله تعالى: **(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ)** محمد-١١

يقول أحد العلماء:" وذلك أننا نسقط لكي ننهض ، ونهبط لكي نصعد ، ونفترق قليلاً لنلتحم كثيراً ، ونهزم في المعارك لنحقق نصراً أروع تماماً كما ننام لكي نصحوا أكثر قوةً ونشاطاً ".

تحقيق النصر والتمكين:

نقول وبالله التوفيق أن النصر والتمكين قد جاء في كتاب الله الحكيم واضحاً جلياً فلا يحتاج فيه إلى الإطناب والتفصيل ، أو الشرح والتفسير ، أو الاختلاف والتحليل ..

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) محمد-٧

وقال تعالى: (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) الحج-٤٠

وقال تعالى: (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) الروم-٤٧

وقال تعالى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) غافر-٥١

وقال تعالى: (إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ) آل عمران-١٦٠

وقال تعالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) التوبة-١٤

وقال تعالى: (وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) آل عمران-١٢٦

وقال تعالى: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) الروم٤-٥

وقال تعالى: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) البقرة-٢٥٠

وقال تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ) الحشر-٨

وقال تعالى: (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ) الحج-١٥

وقال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) الحديد-٢٥

يقول الدكتور راغب السرجاني: إن النصر ببساطة يكون في هذه الأمور العشرة التالية:

- العودة الكاملة غير المشروطة لله عز وجل ولشرعه الحكيم.
- الوحدة بين المسلمين جميعاً على أساس الدين.
- الإيمان بالجنة والزهد في الدنيا والبعد عن الترف.
- تعظيم الجهاد والحث عليه وتربية النشء والشباب على حب الموت في سبيل الله.
- الاهتمام بالإعداد المادي من سلاح وعلم وخطط واقتصاد وتقنيات وسياسات.

- إظهار القدوات الجليلة وإبراز الرموز الإسلامية الأصيلة وتعظيمها عند المسلمين.
- عدم موالاة أعداء الأمة والفقه الحقيقي للفرق بين العدو والصديق.
- بث روح الأمل في الأمة الإسلامية ورفع الهمة والروح المعنوية.
- توسيد الأمر لأهله .. وأهله هم أصحاب الكفاءة والأمانة.
- الشورى الحقيقية التي تهدف فعلاً إلى الخروج بأفضل الآراء.

وفي الختام نسأل الله سبحانه أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وأن يثبت أقدمنا وينصرنا على القوم الكافرين.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

أهم المراجع:

- القرآن الكريم.
- كتب الحديث الشريف.
- تاريخ الأمم الإسلامية . محمد الخضري بك
- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . محمد بن عبدالوهاب
- السيرة النبوية . أبو الحسن الندوي
- عصر الخلافة الراشدة . أكرم ضياء العمري
- البداية والنهاية . لابن كثير
- الدولة الأموية . محمد الخضري بك
- تاريخ الخلفاء . للسيوطي
- الكامل في التاريخ . لابن الأثير
- تاريخ ابن خلدون . لعبد الرحمن بن خلدون
- قصة التتار من البداية إلى عين جالوت . راغب السرجاني
- دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية . عبدالحليم عويس
- الانتصار على التتار . سامي بن خالد الحمود
- التاريخ الإسلامي . محمود شاكر

- فتوحات الشام . أبو عبدالله بن عمر الواقدي
- معجم أسماء الأشياء المسمى اللطائف في اللغة . أحمد بن مصطفى الدمشقي
- بوابة النصر . ذو المعالي
- رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية عند مداهمة التتار لديار المسلمين . مجيد الخليفة
- الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط . علي محمد محمد الصلاَّبي
- دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي . علي محمد محمد الصَّلاَّبي
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية في مناقب السلطان صلاح الدين بن أيوب . يوسف بن رافع المشهور بابن شداد
- موسوعة التاريخ الإسلامي
- موسوعة المعرفة
- موجز تاريخ الإسلام . سيد أمير علي
- الفصول في السيرة . لابن كثير

- السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم . عبدالسلام فهمي
- أرواح الروح . سيد قطب
- الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار . علي محمد محمد الصَّلاَّبي
- سقوط الأندلس دروس وعبر . ناصر بن سليمان العمر
- المعرفة والتاريخ . أبو يُوسُف يعقوب الفسوي . تحقيق أكرم ضياء العُمَري
- وفيات الأعيان . شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان
- فتوح البلدان . احمد يحي البلاذري
- فجر الأندلس . حسين مؤنس

الفهرس

المقدمة ٣
عصور الخلافة ٥
البصمة الأولى: لو استعرضت بنا البحر لخضناه معك ٩
البصمة الثانية: والله لا نعطيهم إلاّ السيف.....١٦
البصمة الثالثة: بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة ٢٣
البصمة الرابعة: فلقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ٣٢
البصمة الخامسة: والله لأُنسين الروم وساوس الشيطان ٣٨
البصمة السادسة: غير أنَّا قوم نشرب الدماء وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم ٤٢
البصمة السابعة: فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر وإن شئت فالسيف ٤٨
البصمة الثامنة: لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدًا حتى نأكل عسل ٥٥
البصمة التاسعة: اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح ٦٣
البصمة العاشرة: لأفجعنهـــم في أسيرهم كما فجعوني بك ٧٠
البصمة الحادية عشر: إن أحببتم ننزل إلى الساحل فنقتتل ٨٥
البصمة الثانية عشر: فيقول له: يا طارق تقدم لشأنك ٨٩
البصمة الثالثة عشر: فأعلموه أني قد حلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ٩٥
البصمة الرابعة عشر: وامعتصماه .. لبيك لبيك ١٠٠

البصمة الخامسة عشر: أين محمود الذي كسر الصنم أحب إلى من الذي ترك الصنم ١٠٦
البصمة السادسة عشر: أنا أحتسب عند الله نفسي وإن سعدت ١١١
البصمة السابعة عشر: إن رعي الجمال خير من رعي الخنازير ١١٦
البصمة الثامنة عشر: لا أوثر شفاء غيظي بشماته الأعداء بالمسلمين ١٢٤
البصمة التاسعة عشر: ها أنا أنتصر لمحمد عليه الصلاة والسلام ١٣٢
البصمة العشرون: أما أنا فكنت أروح إلى الجنة وأما الإسلام فله رب لا يضيّعه ١٣٨
البصمة الإحدى والعشرون: أعلموه أني من ورائه بالمطالبة حتى أنتزع ١٥٦
البصمة الثانية والعشرون: فيقولون له: قل إن شاء الله فيقولها تحقيقاً لا تعليقاً ١٦١
البصمة الثالثة والعشرون: أني أجيز لك أن لا تحفظ هذا اليمين فأنت.....١٧٠
البصمة الرابعة والعشرون: أيها الكفار هذا رأس ملككم ١٧٤
البصمة الخامسة والعشرون: حسناً عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو.....١٨٠
كيف تصنع لك تاريخاً ٢٠١
ميزان اجتماع كلمة الأمة ٢٠٩
بصمة الضعف ٢١٧
النصر والتمكين ٢١٩
أهم المراجع ٢٢٢